روايات مصرية للجيب

ملف المستقبل

سري جداً !!

٩٣

نقطة الصفر

د. نبيل فاروق

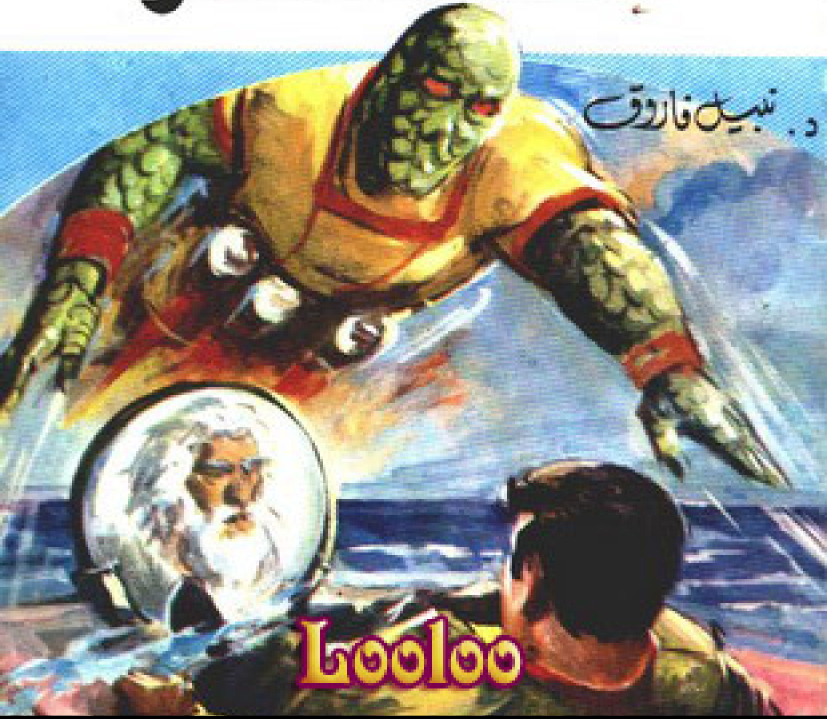

www.helmelarab.net

ملف المستقبل

فى مكان ما من أرض مصر ، وفى حقبة ما من حقب المستقبل ، توجد القيادة العليا للمخابرات العلمية المصرية .. يدور العمل فيها بهدوء تام وسرِّية مطلقة .. من أجل حماية التقدم العلمى فى مصر .. ومن أجل الحفاظ على الأسرار العلمية التى هى مقياس تقدم الأمم .. ومن أجل هذه الأهداف يعمل فريق نادر تم اختياره بدقة بالغة :

— نور الدين : واحد من أكفأ ضباط المخابرات العلمية يقود الفريق .

— سلوى : مهندسة شابة ، وخبيرة فى الاتصالات والتتبع .

— رمزى : طبيب بارع متخصص فى الطب النفسى .

— محمود : عالم شاب وإخصائى فى علم الأشعة .

فريق نادر يتحدَّى الغموض العلمى والألغاز المستقبلية .. إنهم نظرة أمل للمستقبل .. ولمحة من عالم الغد .

د. نبيل فاروق

١ ـ محاولة ..

نهض السفير البريطانى فى (القاهرة الجديدة) من خلف مكتبه ، فى ذلك الصباح ، من شتاء القرن الحادى والعشرين ، يستقبل مندوب المخابرات العلمية المصرية ، وهو يبذل قصارى جهده ؛ ليرسم على شفتيه ابتسامة ترحاب ودودة ، وهو يقول :

ـ أهلًا ومرحبًا بك فى سفارة دولتى يا سيِّدى .. أية رياح طيبة ..

قاطعه مندوب المخابرات بغتة ، وعلى نحو لا يتفق أبدًا مع الأساليب الدبلوماسية المألوفة :

ـ سيِّدى .. أنا هنا لمهمة محدودة ، بالغة الأهمية والخطورة ، وعاجلة للغاية أيضًا .

خفق قلب السفير البريطانى فى عنف ، وهو يحاول السيطرة على مشاعره ، وقال :

ـ إلى هذا الحد ؟!

أضاف المندوب فى صرامة :

ـ بل ربما تهدِّد العلاقة بين دولتينا أيضًا يا سيِّدى السفير .

ازداد اضطراب السفير ، وقفز ليرتسم القلق فى وضوح على ملامحه ، وتجمّد لسانه فى حلقه ، فلم يستطع التفوّه بحرف واحد ، وهو يتطلّع إلى المندوب المصرى فى توتر شديد ..

لقد كان يعلم طبيعة المشكلة بالفعل ..

وهذا ما يؤرّقه ..

وفى حزم وصرامة ، واصل المندوب المصرى حديثه ، قائلًا :

ـ لقد اقتحم بعض مواطنيك مركز أبحاث الفضاء الخاص بنا ، واحتلوا حجرة التجميد البشرى ، ويهددون الآن بنسف أسطوانة خاصة ، تحوى جسد طفلة صغيرة ، تمثل بالنسبة إلينا أهمية قصوى ، ما لم يتم تنفيذ مطالبهم ، التى تتعارض مع أمننا القومى .

ازدرد السفير لعابه فى صعوبة ، وهو يتمتم :

ـ أأنت واثق من أنهم ينتمون إلينا ؟ ربما كانوا أمريكيين ، أو ....

قاطعه مندوب المخابرات العلمية المصرية فى حزم :

ـ بل هم من مواطنيك يا سيادة السفير .

حاول السفير أن يناور ، ويتملّص من الأمر ، فتمتم :

ـ ربما كان هناك خطأ ما فى الأمر ، أو ...

بتر هو عبارته بنفسه هذه المرة ، وعجز عن الاستطراد ، فمال المندوب المصرى نحوه ، وقال فى صوت حاد :

ـ ليس لدينا وقتًا لإضاعته يا سيادة السفير .. إننا واثقون تمامًا من أننا نتعامل مع فريق بريطانى ، ونطالبك بالتدخل فورًا ، ودون إبطاء ، لإيقاف هذه المهزلة السخيفة ، وإلا فستكون العواقب وخيمة قاسية .

كان الموقف دقيقًا بحق ، إلا أنه لم يكن من السهل أبدًا أن يستسلم السفير البريطانى بهذه السرعة ، ويعترف بتورط بلاده فى أمر مشين كهذا ؛ لذا فقد قال فى محاولة أخيرة :

ـ سيّدى .. أريد دليلًا ماديًا واحدًا .

انعقد حاجبا المندوب المصرى ، قبل أن يميل نحوه ، ويقول فى صرامة .

ـ هل سمعت عن علم الأجناس البشرية يا سيّدى السفير(*) ؟..

(*) علم الأجناس البشرية = الأنثروبولوجيا : علم يدرس أصل النوع الإنسانى ، وكل الظواهر المتعلقة به ، وينقسم إلى أنثربولوجيا طبيعية ، وأخرى ثقافية ، والأولى تختص بدراسة الأجناس البشرية ، وتكوين جسم الإنسان .

هل تعرف علمًا يعرف باسم الفسيونومى(*) ؟.. لو أنك تعرفهما ـ كما أتوقع ـ فستدرك كيف أمكننا تعرّف مواطنك بمنتهى الدقة ، عن طريق واحد من أعظم خبراء العالم ، فى هذا المجال ، ولقد غذينا كمبيوتر المخابرات لدينا بكل التفاصيل ، وأضفنا إليها صورة لمواطنك ، الذى يتزعّم العملية كلها ، تم التقاطها بوساطة أجهزة المراقبة ، فأعلن الكمبيوتر أننا أمام رجل يدعى (جيمس برادلى) ، ينتمى إلى المكتب الخامس مباشرة(**) ، ولدينا كل الوثائق التى تؤيد هذا .

صمت السفير البريطانى لحظة ، وهو يبحث عما يمكن أن يقال ، فاستطرد المندوب المصرى ، فى شىء من الحدة :

ـ الوقت أمامنا أضيق مما ينبغى يا سيادة السفير ، فلقد أبلغنى رجال الأمن فى دولتى ، منذ لحظات ، وقبل حضورى مباشرة ، أن (جيمس) قد منحهم عشر دقائق فحسب ، لتنفيذ مطالبه وتلبيتها ، وإلا فسينسف الصغيرة

(*) الفسيونومى : علم دراسة الملامح البشرية ، لتحديد التكوين النفسى لصاحبها ، وهويته ، والدولة التى ينتمى إليها ، وهو علم حديث نسبيًا ، بدأ فى منتصف القرن العشرين .

(**) المكتب الخامس : اسم يطلق على جهاز المخابرات البريطانى .

المتجمدة ، داخل أسطوانة خاصة ، ونحن نطالبكم بالتحدث إليه مباشرة ، وإعلانه بإلغاء العملية ، وبضرورة تسليم نفسه للسلطات المصرية ، وإلا فإننا سنتخذ إجراءات صارمة وعنيفة للغاية ، تجاه دولتك .

ازدرد السفير لعابه مرة أخرى فى صعوبة ، وقال بصوت متحشرج :

ـ حتى لو وافقنا على مطالبكم ، فالوقت لن يسمح بمنع هذا .

أجابه المندوب المصرى :

ـ سنحاول كسب المزيد من الوقت ، فالحوامة ستصل إليه ، فى الموعد المحدد تمامًا ، ولكننا سنتعلّل بضرورة فحص محركاتها ، وتزويدها بالوقود ، ونستخدم آلة رافعة بطيئة نسبيًا ، لرفع أسطوانة التجميد ، وسنحاول إقناعه بأن حصوله على العقار يحتاج إلى شفرة خاصة ، وعدد من الخبراء .. سنفعل كل ما نستطيعه ، المهم أن تستغل أنت أيضًا هذا الوقت الإضافى ، لإصلاح الموقف .. أقصد لإنقاذى ، وإلا ...

ولم يتمّ عبارته ..

لم يشعر حتى بضرورة إتمامها ..

كان المعنى واضحًا ، والتهديد جليًا ..

وفى ارتباك شديد ، غمغم السفير البريطانى :

ـ لست أدرى ما إذا كنت أستطيع ..

قاطعه المندوب المصرى هذه المرة ، فى صرامة شديدة ، وهو يقول :

ـ سيادة السفير .. هذه الطفلة ، التى نبذل قصارى جهدنا لإنقاذها ، ليست طفلة عادية .. إنها ابنة (نور) .. الرائد (نور الدين محمود) .

شحب وجه السفير ، وهو يسأله :

ـ بطل التحرير ؟!

أومأ المندوب المصرى برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ وأعتقد أن هذا يمنح الأمر صفة عالمية .. أليست كذلك ؟

سأله السفير فى شحوب :

ـ بلى .. ولكن أين هو الآن ؟.. أعنى أين الرائد (نور) ؟

فى هذه المرة لم يمنحه المندوب المصرى أية أجوبة ..

ربما لأنه هو نفسه كان يجهل الجواب ..

ولم يكن ـ فى الوقت ذاته ـ يمكن أن يتخيَّل أنه لا يوجد أدنى أثر لـ (نور) ، فى هذه اللحظة بالذات ، فى أية بقعة من الكرة الأرضية ..

ولا حتى فى هذا الزمن ..

إنه ، وفى هذه اللحظة ، ولو أن العبارة تعنى شيئًا فى هذا المقام ، كان يبعد عنهم ستة وثلاثين قرنًا من الزمان ..

كان فى (أطلانطس) ..

قارة (أطلانطس) الأسطورة[*] ..

* * *

كانت البداية الحقيقية منذ ما يقرب من خمس سنوات ، عندما خضعت (نشوى) ـ مرغمة ـ لتجربة شيطانية رهيبة ، أجراها بعض المخلوقات الفضائية ، باستخدام عقار خاص للنمو ..

وقفز عمر (نشوى) عشر سنوات دفعة واحدة[**] ..

وطوال سنوات خمس ، عاشت (نشوى) كفتاة ناضجة ، نما عقلها وجسدها قبل الأوان ، وخبيرة كمبيوتر نادرة ، لا يُشق لها غبار ..

ثم فجأة ، أتى رد الفعل العكسى المخيف ..

لقد بدأ عمرها ينخفض بغتة ، ودون مقدمات ..

(*) راجع قصة (الرحلة الرهيبة) .. المغامرة رقم (٩٢).

(**) راجع قصة (البركان) .. المغامرة رقم (٨٩).

وفى كل يوم يمضى ، كانت (نشوى) تخسر عامًا أو عامين من عمرها ..

وبدأت محاولات مستميتة لإنقاذ (نشوى) ، قبل أن يلتهم رد الفعل عمرها كلها ، فتتلاشى من مجرى الزمن(*) ..

وبذل الدكتور (حاتم زهير) ، أستاذ أبحاث النمو ، قصارى جهده ؛ فى محاولة لمنع تدهور عمر (نشوى) ..

ولكن دون فائدة ..

ثم جاء دور .. (رمزى) ..

وفى واحدة من جلسات التنويم المغناطيسى ، عرف (رمزى) أن سادة الأعماق قد تركوا فى عقل (نشوى) رسالة خاصة ، تحوى الأمل الأخير فى إنقاذها(**) ..

وبدأت مرحلة جديدة من المحاولات ..

وفى بسالة ، غاص (رمزى) و (محمود) فى أعماق الأطلنطى ، لانتشال آخر جرعة من عقار النمو ، تركها خلفهم سادة الأعماق ..

وكانت مغامرة رهيبة(***) ..

ولكنها فشلت ..

(*) راجع قصة (رعب فى الأعماق) .. المغامرة رقم (٩٠) .

(**) راجع قصة (ضد الزمن) .. المغامرة رقم (٩١) .

(***) راجع قصة (الرحلة الرهيبة) .. المغامرة رقم (٩٢) .

ومع روح اليأس ، التى سادت قلوب الجميع ، ظهر أمل آخر ..

(س-١٨) ..

وكحل أخير ، انطلق (نور) مع (س-١٨) إلى أعماق المحيط الأطلنطى ، للعثور على العقار ..

وفى الوقت نفسه ، لجأ الدكتور (حاتم) إلى حل أخير ، لمنع تدهور عمر (نشوى) المستمر ..

التجميد ..

وتم تجميد جسد (نشوى) مرتين ، للسيطرة على ذلك التأثير العكسى الرهيب لعقار النمو ..

أما (نور) ، فقد بلغ موضع العقار ، وحصل عليه بالفعل ، ولكن نفاد طاقة (س-١٨) أدى إلى موقف بالغ الغرابة والصعوبة ..

لقد انتقل مع (نور) عبر الزمن ..

انتقل ستة وثلاثين قرنًا من الزمان إلى الماضى ..

إلى عهد قارة (أطلانطس) ..

فى الوقت نفسه ، كانت هناك مؤامرة بريطانية ، للاستيلاء على سر التجميد البشرى ، أسفرت عن احتلال أربع من العملاء البريطانيين لمركز التجميد ، وعلى رأسهم العميل السرى (جيمس برادلى) ، الذى هدد بنسف

أسطوانة التجميد ، التى ترقد داخلها (نشوى) ، ما لم يحصل على طوافة خاصة ، ورافعة لنقل الأسطوانة إليها ..

كل هذا و (نور) يقاتل للفوز بحريته ، فى قارة (أطلانطس) ، فى الماضى السحيق ..

وحاول (نور) الفرار ..

حاول وفشل ..

وقبل يوم واحد من غرق (أطلانطس) ، وجد (نور) نفسه داخل زنزانة إليكترونية ، موثوق اليدين والقدمين ، وأمامه (بيكاس) .. الأطلانطى الوحيد الذى يؤمن بقصته ..

ومن بين شفتى (بيكاس) ، سمع (نور) الحكم الرهيب ، الذى صدر ضده ..

إنهم سيضعونه فى موضع اختبار القنبلة الأيونوبروتينية ، التى أغرقت (أطلانطس) ..

وكان هذا يعنى النهاية ..

نهاية (أطلانطس) ..

ونهاية (نور) ..

* * *

كانت صدمة عنيفة بحق ، بالنسبة للرائد (نور) ... أن يلقى مصرعه وسط انفجار هائل رهيب ، سيبتلع قارة كاملة دون رحمة ..

ولثوان ، بقى صامتًا مبهوتًا ، مصعوقًا ، حتى أن (بيكاس) سأله فى قلق :

ـ هل أصابك مكروه يا ولدى ؟

انتفض (نور) ، وكأنه يستيقظ من كابوس بشع ، وأجاب فى مرارة :

ـ وهل هناك مكروه يفوق هذا يا سيد (بيكاس) ؟!.. إنهم سيعدموننى وسط انفجار لامفر منه ، وسألقى مصرعى قبل مولدى بستة وثلاثين قرنًا ، وتفقد ابنتى آخر أمل لها بالبقاء .. ماذا بقى بالله عليك ؟

أجابه (بيكاس) فى حرارة :

ـ الأمل .

ابتسم (نور) فى سخرية مريرة ، وهو يقول :

ـ أى أمل ؟!.. إننى كما ترى ، مقيد اليدين والقدمين ، داخل زنزانة إليكترونية ، لاسبيل للفرار منها ، وهم أفسدوا (س ـ ١٨) كما تقول ، فأى أمل يبقى لى ؟!

تلفت (بيكاس) حوله فى حذر ، وأشار إلى صدره ، قائلا :

ـ أنا .

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يقول :

ـ أنت ؟!.. أى أمر ...

قاطعه (بيكاس) بإشارة من يده ، وقال :

ـ سأشرح لك كل شىء .

والتقط نفسًا عميقًا ، ثم سأله فى اهتمام :

ـ ما معلوماتك عن السفر عبر الزمن ؟

أجاب (نور) فى شىء من التوتر :

ـ ليست لدى أية معلومات نظرية ، ولكننى سافرت بالفعل عبر الزمن ، أكثر من مرة .

ابتسم (بيكاس) ، وقال :

ـ أما أنا ، فعلى عكسك تمامًا يا فتى .. إننى أمتلك نظريات ودراسات ومعادلات كثيرة ، حول السفر عبر الزمن ، دون أن انتقل فعليًا ولو ساعة واحدة ، إلى الأمام أو إلى الخلف .

بدا الحديث بعيدًا عن الفكرة الأساسية ، فقال (نور) فى توتر :

ـ سيِّد (بيكاس) ، ما العلاقة بين ..

قاطعه (بيكاس) مرة أخرى بإشارة من يده ، وقال :

ـ هل تعلم ما الذى رأيته ، وأنت تسبح فى بحر الزمن ، قبل وصولك مباشرة إلى هنا ؟

بدت الحيرة على وجه (نور) ، وهو يسأل فى حذر :

ـ وما الذى رأيته ؟

لوَّح (بيكاس) بيده ، وسمع (نور) صوته ، عبر خلايا مخه مباشرة ، وهو يقول :

ـ ذلك الانفجار ، والموجة العاتية التى تبعتـه ، وأغرقت (أطلانطس) .. إنـه مشهد سابق لأحداثنا الحالية ، شاهدته أنت ، عندما تباطأت سرعتك ، قبل أن تصل إلينا ، وأنت تهوى فى مجرى الزمن .. لقد رأيت يا ولدى مصير (أطلانطس) الذى أخشاه .. المصير الذى يرتجف له الدم فى عروقى ، منذ استعدوا لتجربة القنبلة (الأيونوبروتينية) .

سأله (نور) ، فى حذر أكثر :

ـ وما سبب خشيتك ؟

أجابه فى أسى :

ـ المعادلات يا ولدى. معادلات كلها تقول إن ذلك الانفجار سيكون كارثة ، فهو سيسبب زحزحة رهيبة فى الألواح القارية ، وموجة مد هائلة ، ستبتلع (أطلانطس) كلها .

ثم ازدرد لعابه ، ورمق (نور) بنظرة خاصة ، وهو يستطرد :

- ولقد سمعت حديثك عن التاريخ فى عصرك، وعن غرق (أطلانطس)، وعندئذ أدركت أننى على حق، و...

صمت لحظة، تطلع خلالها إلى عينى (نور) مباشرة، قبل أن يضيف فى حزم:

- وقررت أن أبدل مجرى التاريخ، وأن أسعى لإنقاذ (أطلانطس)، ومنع فنائها.

انعقد حاجبا (نور) فى شدة، وهو يقول:

- ولكن هذا مستحيل!

قال (بيكاس) فى لهجة أقرب إلى الضراعة:

- لماذا مستحيل ؟!.. علينا أن نحاول.

هز (نور) رأسه فى قوة، وقال:

- لا أحد يمكنه تغيير التاريخ..

قال (بيكاس) فى لهفة:

- إنه لم يصبح تاريخًا بعد.. إننا نحيا الواقع الآن.. الحاضر، ومن المحتم أن نحاول.

ثم مال نحوه، واستطرد فى حماس:

- سأساعدك على الفرار من هنا، وربما أعدتك بآلة الزمن إلى عصرك، مقابل معاونتك لى، فى منع دمار (أطلانطس).. ما رأيك ؟

أجابه (نور) فى حزم:

- مستحيل يا سيد (بيكاس).. العبث بالتاريخ أمر بالغ الخطورة، ففناء قارة (أطلانطس) هو الذى منح الحضارات الأخرى فرصة التفوق والظهور.. ولو بقيت (أطلانطس)، فربما تسود الأرض لقرون وقرون، وتنهار إلى جوارها كل الحضارات الأخرى.. الرومانية، والبزنطية، والفارسية، وحتى الحضارة المصرية القديمة.. بل ربما عثر عليكم رجال كوكب (بيروزيت)، وتسبب قتالكم فى تدمير الأرض كلها.. أتعلم ما يعنيه هذا ؟!.. أن أفقد أنا فرصة مولدى وبقائى.. أن أنتهى من مجرى الزمن.. وحتى لو عدت بعدها إلى عصرى، فقد لا أجد الأرض كما تركتها، بل أجدها أرضًا أخرى، يحيا قومها فى ظل الاحتلال والهيمنة التامة لقارة (أطلانطس).

قال (بيكاس) فى مرارة:

- إنك تجعل الأمر عسيرًا يا ولدى.

هتف (نور):

- لأنه كذلك بالفعل.

صمت (بيكاس) لحظات، التقط خلالها أنفاسه فى صعوبة، قبل أن يقول:

- قولك مجرّد افتراض يا ولدى .. فربما ، لو نجت (أطلانطس) ، لصار العالم أكثر جمالًا وجودة .. ربما اختفت منه الأحقاد والمتاعب .. أقول ربما .. إنك لا تدرك أبدًا ما يمكن أن يفعله الزمن .. المهم أن لدى فرصة لإنقاذ (أطلانطس) ، حتى ولو كان شعبها نفسه يجهل هذا ويرفضه .

ازدرد لعابه بصوت مسموع ، ثم انعقد حاجباه ، وهو يضيف :

- ثم أننى لم أقدّم عرضى كله بعد .

سأله (نور) فى لا مبالاة :

- ماذا لديك أيضًا ؟

أخرج (بيكاس) من جيبه قنينة صغيرة للغاية ، وهو يقول :

- هذا ؟

تطلّع (نور) إلى القنينة فى حيرة ، وهو يسأله :

- وما هذا بالضبط ؟

ابتسم (بيكاس) ، وهو يقول :

- لقد استخدمت أحدث الأجهزة ، التى ابتكرها علماء (أطلانطس) ، لإجراء عشرات التجارب ، على عقار النمو ، الذى أحضرته معك ، ودرست مشكلة ابنتك بشكل جيدٍ للغاية ، وأخيرًا صنعت هذا .

شحذ الحديث حواس (نور) واهتمامه بشدة ، وهو يغمغم :

- أهو ...

قاطعه (بيكاس) فى حماس :

- نعم .. هذه هى الجرعة المثالية ، لإعادة ابنتك إلى عمرها .. المهم أن تحصل عليها ، عندما يبلغ عمرها عامًا واحدًا ، وسيقفز بها العمر مرة أخرى إلى الخامسة والعشرين .. تمامًا كما فعل بها العقار الأوّل ، مع تغيير بسيط .

ثم مال نحوه ، وتطلّع إليه مباشرة ، وهو يضيف :

- إنه دائم التأثير هذه المرة .

خفق قلب (نور) فى عنف ، وهو يقول :

- أتعنى أن ..

مرة أخرى ، قاطعه (بيكاس) ، وهو يتراجع ، قائلًا :

- نعم .. إنها ستعود إلى عمرها السابق ، وبشكل تام وسليم ، وغير رجعى هذه المرة .. باختصار ، ستنتهى هذه المشكلة إلى الأبد .

قاطعه (بيكاس) فى حماس :

ـ نعم .. هذه هى الجرعة التالية ، لإعادة ابنتك إلى عمرها ..

وارتسمت على شفتيه ابتسامة كبيرة ، وهو يستطرد :

ـ والآن عليك أن تختار .. فتاه (أطلانطس) ، أو عودتك إلى زمنك ، ونجاة ابنتك من مصيرها المحتوم .. هيا .. اتخذ قرارك الآن ..

وكان الاختيار عسيرًا ..

عسيرًا بحق .

* * *

٢ ـ الإرهـــاب ..

ألقى الدكتور (حاتم زهير) نظرة متوترة على ساعة يده، وجفف العرق الغزير، الذى انهمر على جبهته، على الرغم من برودة المكان، وقال فى شىء من العصبية :

ـ أريد فحص الصغيرة .

هز (جيمس) رأسه نفيًا فى صلابة، وهو يقول :

ـ لن تفحص شيئًا .

أجابه الدكتور (حاتم) فى حدة :

ـ ولكن هذا الفحص حتمى، وإلا لقيت الصغيرة مصرعها، دون أن تشعر بهذا .

خفق قلب (سلوى) فى ارتياع، فى حين قال (جيمس) فى صرامة :

ـ فلتلق مصرعها، أو تذهب حتى إلى الجحيم .. لن أسمح لأحدكم بخداعى، بأية حجة كانت .

صاح الدكتور (حاتم) فى غضب :

ـ أى خداع يا رجل ؟!.. إننى طبيب، ولست رجل أمن، وهذه الفتاة هى الدرع، الذى تحتمى به، ولو أصيبت بمكروه، فستخسر كل شىء .

ابتسم (جيمس) فى سخرية، وهو يقول :

ـ هل تراهن ؟

قال (محمود) فى توتر :

ـ اسمع يا سيد (جيمس) .. هذا الفحص ضرورى بالفعل، ويمكنك أن تحتفظ بى كرهينة، حتى ينتهى الدكتور (حاتم) من ..

قاطعه (جيمس) بضحكة ساخرة، وهو يقول :

ـ رهينة ؟!.. ولكنك رهينة بالفعل يا رجل ..

ثم استطرد بشراسة مباغتة :

ـ ثم أننى لن أكرر أوامرى مرة أخـــرى .. قلت لا فحص، وهذا هو قرارى الأخير .

انفعل الدكتور (حاتم) فى غضب، وهتف :

ـ من الواضح أنك تجهل من هى هذه الطفلة بالضبط .

صاحت (سلوى) فى ذعر :

ـ دكتور (حاتم) .

وانعقد حاجبا (محمود) فى توتر بالغ، ولكن الدكتور (حاتم) واصل اندفاعه الغاضب، مستطردًا فى عصبية وانفعال :

ـ إنها ليست طفلة عادية .. إنها (نشوى)، ابنة بطل التحرير .

انعقد حاجبا (جيمس) فى تساؤل ، وتبادل ، زميلاه نظرة حائرة ، قبل أن يضيف الدكتور (حاتم) فى غضب :

ـ إنها ابنة (نور) .. الرائد (نور الدين محمود) .

ارتفع حاجبا (جيمس) إلى آخر جبهته ، واتسعت عيناه وتألقتا فى شدة ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة ظافرة ملهوفة ، فى حين شحب وجها زميليه ، وقال أحدهما فى اضطراب :

ـ (جيمس) .. هذا يعنى أن المسأله تزداد تعقيدًا .

التفت إليه (جيمس) ، هاتفًا فى انفعال :

ـ على العكس .

وبرقت عيناه أكثر وأكثر ، وهو يستطرد :

ـ هذا يعنى أن أحدا لن يجرؤ على مس شعرة واحدة من رءوسنا ، ما دمنا نحتفظ بهذه الصغيرة .

صرخت (سلوى) بلوعة :

ـ أرأيت يا دكتور (حاتم) .. لقد نبهتهما إلى أمر ابنتى .

امتقع وجه الدكتور (حاتم) فى شدة ، فى حين برقت عينا (جيمس) مرة أخرى ، وهو يقول فى لهفة ظافرة :

ـ إذن فأنت زوجة (نور) أيضًا .. عظيم .. لقد ربحنا المعركة يا رجال .

تمتم الدكتور (حاتم) فى انهيار :

ـ يا إلهى !.. لقد أفسدت كل شىء .

أطلق (جيمس) ضحكة عالية مجلجلة ، وقال وهو يرفع رأسه إلى أعلى :

ـ هل سمعتم أيها المراقبون ؟.. إننا نحتفظ هنا بابنة بطلكم وزوجته ، وأمامكم دقيقتان فقط لحسم أمركم ، وتلبية كل ما طلبت . وإلا فسيكون عليكم البحث عن تبرير منطقى ، لإقناع شعبكم بسبب تخليكم عن عائلة البطل .

قالها وانطلق يضحك مرة أخرى فى ظفر وانفعال ..

لقد ربح المعركة ..

ربحها بالفعل ..

★ ★ ★

« لا مفر من الموافقة .. » .

نطق (نور) هذه العبارة فى خفوت ومرارة ، وهو يتطلع إلى وجه (بيكاس) ، الذى تنهد فى ارتياح ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة واسعة ، قبل أن يتمتم :

ـ هذا ما تمنيته .

أضاف (نور) فى سرعة وعصبية :

ـ إنك لم تضع أمامى خيارًا آخر يا سيد (بيكاس) ، فأنت تقول إنه : إما اليأس التام ، والضياع بلا أمل ، أو أمل فى النجاة وإنقاذ ابنتى ، مهما بلغت ضآلته .. أى رأى تختار ، لو كنت مكانى يا سيد (بيكاس) ؟

ارتفع حاجبا (بيكاس) فى حنان واضح ، وهو يقول :

ـ صدقنى يا ولدى .. لو أننى فى موضعك ، لما ترددت لحظة فى اتخاذ القرار نفسه .

ثم انحنى إلى الأمام ، وأضاف فى خفوت :

ـ والآن اسمعنى جيدًا .. سأوقف التيار الإليكترونى لمدة ثوان معدودة ، فى المبنى كله ، وعندما أفعل ، ستنفتح بغتة قيودك الإليكترونية ، وتزول القضبان الكهربية ، ويكون بإمكانك الفرار من زنزانتك الإليكترونية الصغيرة ، ولكنك ستواجه بعدها حارسين ، وثلاثة أو أربعة من رجال الأمن ، وعليك التخلص منهم جميعًا ، لو لزم الأمر .

غمغم (نور) فى توتر :

ـ إننى أبغض القتل والتدمير .

تمتم (بيكاس) :

ـ أقول : لو لزم الأمر .. المهم أننى سأترك مسدسًا إشعاعيًا ، فى تلك السلة هناك ، بالقرب من الباب .. ستجده ملفوفًا بقطعة من الجلد .. حاول أن تلتقطه بسرعة ، وأن تغادر المكان كله ، خلال دقيقة واحدة ، فبعدها ستجد جيشًا من رجال الأمن هنا ، لاستطلاع الأمر .. المهم أنه بعد خروجك ، عليك أن تتجه مباشرة إلى الطابق العلوى ، وهناك ستجد خمسة

من رجال الأمن ، يحيطون بحجرة خاصة مغلقة .. تخلص من رجال الأمن بأى ثمن ، فهذه الحجرة تحوى سبب تدمير (أطلانطس) .. القنبلة (الأيونوبروتينيـــة) .. وهذه الحجرة لا يمكن فتحها إلا باستخدام بطاقة مغنطيسية خاصة ، ستجدها مع المسدس ، فاستخدمها لتفتح الحجرة ، ثم اقترب من القنبلة ، واجذب ذراعا أحمر فى طرفها ، فتنتزع منها فتيل التفجير ، وهو يحوى ستة أسلاك .. اقطع السلك الأسود منها فقط ، ثم أعد الفتيل إلى مكانه ، وغادر الحجرة ، واحضر مباشرة إلى منزلى ، فى الطابق الثالث ، وسأرسلك مع جرعة العقار ، مباشرة إلى عصرك .. ما رأيك ؟

غمغم (نور) :

ـ سأحاول .

تنهد (بيكاس) ، وهو ينهض قائلًا :

ـ أتمنى لك حظًا سعيدًا يا ولدى .

أجابه (نور) :

ـ بل تمنى لى توفيقًا من الله (سبحانه وتعالى) .

تطلع إليه (بيكاس) لحظة فى صمت ، ثم اتجه فى خطوات هادئة رصينة إلى الخارج ، ولمحه (نور) يستند إلى باب الحجرة ، متظاهرا بالسعال ، ثم يلقى قطعة الجلد داخلها ، قبل أن يعتدل مرة أخرى ، ويعتدل ليرمقه بنظرة خبيثة ، مع ابتسامة جذلة ، ويغادر المكان ..

وفى صمت ، استرخى (نور) فوق ذلك المقعد ، الذى قيدوه إليه ، فى حين أخذت أفكاره تنطلق فى عصبية شديدة ..

ترى هل تنجح هذه الخطة ؟!..

هل ينجح هو فى القيام بتلك المهمة الرهيبة ، التى يطلبها منه (بيكاس) ؟..

هل يبلغ موضع القنبلة ، وينجح فى إفساد مفعولها ، وتنجو (أطلانطس) ؟!..

لم يجد عقله جوابًا منطقيًا ، أو حتى عقلانيًا ، لكل هذه الأسئلة ، وغيرها وغيرها ، بل شعر فى أعماقه بتوتر هائل ، وبلا حدود ، وهو يجلس هكذا صامتًا عاجزًا ، فى انتظار الخطوة التالية ، التى يعتمد فيها على (بيكاس) وحده ..

وراحت دقات قلبه تتصاعد تدريجيًا ، حتى خُيِّل إليه أن حارسيه يسمعان هذه الدقات فى وضوح ، ويدركان أنه يزمع الفرار ..

ومضى الوقت بطيئا متثاقلا ، وتساءل هو : هل فشل (بيكاس) فى مهمته ؟!..

ثم فجأة ، انقطع التيار الكهربى والإليكترونى ..

وتحرّر (نور) دفعة واحدة من قيوده ..

وحانت لحظة العمل .

ودون أن يضيع (نور) لحظة واحدة ، قفز من ذلك المقعد ، واندفع كالصاروخ نحو السلة ، محاولًا تحديد موضعها فى الظلام ، فى حين راح حارساه يطلقان صيحات قوية ، وهما يعدوان إلى الداخل ..

وفجأة أيضًا ، عادت الأضواء تسطع من جديد ..

وفوجئ (نور) أمامه بأحد الحارسين ، الذى تراجع مصعوقًا ، وصرخ مستنجدًا بزميله ، قبل أن يرتطم به (نور) ، مع اندفاعه الشديد ..

وسقط الاثنان ..

سقط (نور) مع الحارس ، وتدحرجا أرضًا ، فى نفس اللحظة التي استدار فيها إليه الحارس الآخر ، ورفع نحوه بندقيته الإشعاعية ، و ...

وأطلق الأشعة القاتلة ..

★ ★ ★

نهض رئيس الوزراء البريطانى من خلف مكتبه فى عصبية ، وهو يستقبل مدير المخابرات ، الذى بدا أكثر عصبية ، وهو يقول :

ـ لماذا طلبت رؤيتى على وجه السرعة يا سيدى رئيس الوزراء ؟

سقط (نور) مع الحارس ، وتدحرجا أرضًا ، في نفس اللحظة التي استدار فيها إليه الحارس الآخر

صاح رئيس الوزراء في وجهه غاضبًا :

ـ ما هذا الذي فعله (جيمس) في (مصر) ؟!.. كيف تهوّر وتورّط إلى هذا الحد ؟!.. لم يكن من المفروض أبدًا أن يبلغ الأمر هذا الحد .. هل تدرك ما حدث ؟

ازدرد مدير المخابرات البريطاني لعابه ، وغمغم :

ـ نعم يا سيدي .. وصلني تقرير عاجل من (مصر) .

صاح به رئيس الوزراء :

ـ الموقف متدهـور بشدة يا رجل . والمصريـون يطالبون بإجراء عاجل وحاسم ، وإلا فسيتخذون إجراءات عنيفة وحادة ، تجاه العلاقات الدولية بيننا وبينهم ، و (مصر) لم تعد دولة صغيرة ونامية ، كما كانت في القرن الماضي .. إنها الآن واحدة من الدول الكبرى .. ولقد اتصل بي جلالة الملك ، وهو قلق وغاضب ومتوتر للغاية ، ويطالبنا بإنهاء هذه العملية على وجه السرعة .

سأله مدير المخابرات ، في توتر كامل :

ـ وبم تأمر يا سيادة رئيس الوزراء ؟

لوّح رئيس الوزراء بيده في وجهه ، وقال :

ـ اتصل بهذا الأحمق على الفور ، ومره بإنهاء العملية ، وتسليم نفسه للسلطات المصرية ، فربما كان هذا هو الحل الوحيد ، لإنهاء العملية دون خسائر تُذكر .

اومأ مدير المخابرات برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ سأفعل يا سيّدى .. سأفعل على الفور .

وغادر حجرة رئيس الوزراء ، وهو يشعر أنه وقع فى خطأ هذه المرة ..

خطأ فادح ..

★ ★ ★

فركت (مشيرة) كفيها فى عصبية وتوتر ، وهى تتلفت حولها فى قلق ، فسألها الدكتور (ناظم) ، الذى لا يقلّ عنها توترًا وقلقًا :

ـ ماذا هناك يا بنيتى ؟.. ماذا أصابك ؟.

أجابته بصوت أقرب إلى البكاء :

ـ (أكرم) ليس هنا .

اعتدل يتلفت حوله بدوره ، ثم قال :

ـ ربما ذهب إلى دورة المياه ، أو ...

قاطعته هى فى انفعال :

ـ بل هو يخطط لشىء ما .

التقى حاجباه ، وهو يسألها فى قلق :

ـ شىء مثل ماذا ؟

أجابته والدموع تترقرق في عينيها :

ـ لست أدرى ، وهذا أكثر ما يثير فزعى .

زفر الدكتور (ناظم) فى شدة ، وأشاح عنها بوجهه ، متمتمًا :

ـ يا للنساء !

ثم التفت إلى أحد معاونيه ، وسأله :

ـ متى تصل الحوّامة ؟

أجابه الرجل فى سرعة :

ـ الآن .. سنستخدم حوّامة المركز نفسه ، فهذا أكثر سرعة .

لم يكد الرجل يتمّ عبارته ، حتى ارتفع صوت الحوّامة ، الشبيهة بالهليوكوبتر ، وهى تتجه مباشرة إلى مبنى التجميد ، وتهبط على سطحه بشىء من الخشونة ، فغمغم الدكتور (ناظم) فى توتر :

ـ ماذا أصاب (ممدوح) ؟.. إنه يهبط بالحوّامة كما لو أنه مجرّد طيار مبتدئ

أجاب معاونه ، وهو يراقب الحوّامة فى اهتمام :

ـ التوتر يا سيّدى .. الكل هنا يعانى من توتر بلا حدود .

تنهدّ الدكتور (ناظم) ، وقال :

ـ هذا صحيح .

ثم ضغط زر الاتصال ، الذى يوصله بحجرة التجميد ، وقال :

- سيد (جيمس) .. لقد وصلت الحوّامة ، والرافعة مستعدة لرفع أسطوانة التجميد ، ولكننا نريد دليلاً على حسن النوايا .

أجابه (جيمس) فى خشونة :

- دعونى أغادر المكان أوّلاً ، ثم تحصلون على حسن النوايا .

قال الدكتور (ناظم) :

- كلا يا (جيمس) .. إننا نمنحك الكثير .. العقار وأسطوانة التجميد ، وكذلك الحوّامة ، ومن الضرورى أن تعطينا دليلاً على حسن نيتك .

قال (جيمس) فى سخرية :

- مثل ماذا ؟

التقط الدكتور (ناظم) نفساً عميقاً ، قبل أن يجيب :

- أطلق سراح الرهائن .

مضت لحظة من الصمت ، حبس خلالها الجميع أنفاسهم ، قبل أن يجيب (جيمس) فى برود عجيب ، كما لو أن كل انفعالاته السابقة قد ذابت فى لحظة واحدة :

- لا بأس .

تنفس الجميع الصعداء ، إلا أنه استدرك فى سخرية :

- سأطلق سراح الرجلين ، وأحتفظ بالمرأة والطفلة .

انعقد حاجبا الدكتور (ناظم) مرة أخرى ، وقال فى حدة :

- كلا يا (جيمس) .. أطلق سراح الجميع ، أو ...

قاطعه (جيمس) بصرخة هادرة :

- لا تملِ أوامرك .. أنا هنا الذى يضع الشروط ، وكل مهمتكم تقتصر على تنفيذها فحسب .. هل تفهم ؟.. هذا هو العرض الوحيد الذى أقدمه .. اقبله أو ارفضه ، ولكن لا تملِ أوامرك .

ثم جذب (سلوى) من شعرها فى قسوة ، مستطرداً :

- وليس لديك الخيار .

صاح (محمود) فى غضب :

- أيها الوغد .

واندفع نحو (جيمس) ، ولكن هذا الأخير استقبله بضربة شديدة العنف ، من كعب بندقيته الآلية فى فكه ، ألقته أرضاً فاقد الوعى ، والدماء تسيل من بين شفتيه غزيرة ، وبسرعة صوّب إليه (جيمس) مدفعه ، وهو يقول فى حدة :

- أخطأت يا فتى ، وستدفع الثمن ..

وهنا صرخ الدكتور (ناظم) :

- لا .. لا تطلق النار ، أو تخسر كل شىء .

جذب (جيمس) إبرة مدفعه ، وهو يقول في حدة :

ـ لن أخسر شيئًا .. إنني أسيطر على الموقف تمامًا .

صاح الدكتور (ناظم) :

ـ ولكنني أقسم أن تخسر كل شيء ، لو أطلقت النار هذه المرة .. إننا لن نحتملك إلى الأبد .

صوّب (جيمس) فوهة مدفعه إلى (محمـــود) ، وهو يقول :

ـ أراهنك أنكم ستفعلون ، وسأثبت هذا عمليًا .

صرخت (سلوى) :

ـ لاتقتله أيها الحقير .

دفعها (جيمس) بعيدًا ، وهو يقول :

ـ اخرسي يا امرأة ..

ولكن فجـأة ، ارتفـع صوت مديـر المخابـرات البريطانية ، عبر كل أجهزة الاتصال ، داخل حجرة التجميد ، وهو يقول :

ـ (جيمس برانلي) .. هنا رقم صفر .. ألغ العملية كلها .. هل تسمعني ؟.. المهمة ملغاة .. سلم نفسك للسلطات المصرية ، وسنبذل قصارى جهدنا لاستعادتك .. أكرّر .. المهمة ملغاة بأمر السيد رئيس الوزراء ..

انعقد حاجبا (جيمس) في شدة ، وهو يتابع النداء ، الذي راح يتكرّر مرات ومرات ، في حين خفض زميلاه مدفعيهما ، وتمتم أحدهما :

ـ لقد ألغيت المهمة .

التفت إليه (جيمس) في حركة حادة ، وصرخ في وجهه :

ـ كذب .. إنها خدعة يا رجل .. ألم تفهم ؟!

تمتم الثاني :

ـ ولكنه صوت رقم صفر بالفعل .. من غيرنا يعرفه ؟

صاح به (جيمس) :

ـ المصريون يعرفونه حتمًا .. لقد صنعوا رسالة زائفة ، بوساطة أجهزة الكمبيوتر ، لدفعنا إلى التسليم ، ولكن هيهات .

أجابه الدكتور (ناظم) ، عبر أجهزة الاتصال :

ـ الرسالة حقيقية يا (جيمس) .

صرخ (جيمس) :

ـ كذب .. كذب ..

أتاه صوت مدير المخابرات ، وهو يقول :

ـ الاسم الكودي للعملية (حرب العصابات) ، ورقمها (١٢٠٩) .. استسلم يا (جيمس) .. هذا أمر .

بدا الارتياح على وجهى زميلى (جيمس) ، وقال أحدهما ، وهو يتجه إلى باب الحجرة :

– فليكن .. هذا أفضل يا (جيمس) .. لم نكن لننجح على أية حال .

ولكن (جيمس) استدار إليه فى حركة حادة ، صارخًا :

– بل سننجح .

امتزجت صرخته بدوى رصاصات مدفعه ، التى انطلقت لتردى زميله قتيلًا ، فصرخ الزميل الثانى ، وهو يرفع مدفعه :

– (جيمس) .. هذه خيانة .

أدار (جيمس) فوهة مدفعه إلى زميله الثانى بسرعة مدهشة ، وأطلق النار بلا تردد فوثب جسد الرجل فى الهواء ، وارتطم بالجدار ، ثم هوى جثة هامدة بدوره ، مع صرخات (سلوى) المذعورة .

وانتفض الدكتور (ناظم) فى حجرة المراقبة ، فى عنف ، وهتف مستنكرًا وممتعضًا :

– لقد جن الرجل .. أصيب بجنون مطبق .

أما (جيمس) ، فراح يصرخ فى وحشية :

– لن نناقش هذا مرة أخرى .. لن تخدعنى هذه الرسالة الزائفة ، كما خدعت الآخرين .. عليكم بتلبية مطالبى على الفور ، وإلا نسفت أسطوانة التجميد ، وقتلت الطفلة وأمها ، وهذا الطبيب المأفون .

لوَّح الدكتور (ناظم) بيده ، وهو يقول :

– نفذوا أوامره بسرعة .. من الواضح أنه قد أصيب بالجنون ، وستكون العواقب وخيمة ، لو أننا لم نفعل .

قاطعته شهقة مباغتة من (مشيرة) ، فالتفت إليها هاتفًا فى عصبية :

– هذا الطيّار .

قالتها وهى تشير بأصابع مرتجفة إلى طيّار الحوّامة ، الذى يبدو على شاشة الرصد ، وقد غادر مقعده ، ووقف إلى جوار الحوّامة متململًا ، فى انتظار قدوم (جيمس) ، فتطلّع الدكتور (ناظم) إلى الطيّار ، وهو يعدّل وضع منظاره الطبى ، ويقول فى حدة :

– ماذا عنه أيضًا ؟!

لم يكد ينطقها ، حتى اتسعت عيناه فى هلع ، وتركزتا على صورة الطيار فى ذعر ..

إنه لم يكن (ممدوح) .. طيار الحوّامة التقليدى ..

كان شخصًا آخر ..

شخص يحمل اسم (أكرم) .

* * *

٣ ـ القتـــال ..

أطلق الحارس الثانى أشعته فى سرعة ، نحو الرائد (نور) ..

ولكنه لم يصب هدفه ..

لقد أصاب زميله ، الذى جحظت عيناه فى شدة ، قبل أن يهوى جثة هامدة ..

وبسرعة أيضًا ، أدار الحارس فوهة بندقية الأشعة نحو (نور) ..

إلا أن (نور) لم ينتظر ..

لقد دفع السلة بقدمه فى عنف ، ووثب من مكانه ، وسمع طلقة الأشعة تصيب الأرض ، فى نفس الموضع الذى كان يحتلّه ، منذ لحظة واحدة ، لكنه سيطر على أعصابه ، وقفز يلتقط اللفافة الجلدية ، وانتزع منها المسدس ، ثم استدار يواجه الحارس ..

وكانت مسابقة فى سرعة إطلاق النار ..

مسابقة ربحها (نور) ..

لقد انحنى ليتفادى أية طلقة مباشرة ، يتمّ توجيهها إليه ، وأطلق أشعة مسدسه مباشرة ، نحو بندقية الحارس ..

لم يكن يرغب أبدًا فى قتله ، وإنما أراد تجريده من سلاحه فحسب ..

ولكن تلك الأشعة ، التى انطلقت من المسدس ، لم تكن أشعة ليزر عادية ..

لقد كانت خيطًا من الطاقة الصافية ، لم يكد يلمس بندقية الحارس ، حتى سرى كتيار كهربى عنيف إلى جسده ، الذى انتفض ووثب فى قوة ، ثم هوى جثة هامدة ..

وخفق قلب (نور) فى شدة ..

أنه لم يقصد هذا قط ..

لم يقصد ، فى حياته كلها أن يقتل بشريًا واحدًا ..

هذه طبيعته ..

إنه يبغض القتل والتدمير ، كما لا يبغض أى شىء آخر ..

ولكنها الضرورة ..

وبسرعة ، نفض (نور) عن عقله كل ما حدث ، والتقط البطاقة المغنطيسية ، من اللفافة الجلدية ، واندفع خارج الحجرة ..

ولكن الأمر لم يكن بهذه السهولة ..

لقد وجد فى مواجهته ثلاثة من رجال أمن (أطلانطس) ، أشار إليه أحدهم ، وهو يصرخ بعبارة لم يفهمها (نور) ، ثم أخرج الثلاثة مسدساتهم ، وصوّبوها إليه ..

وكانت مسابقة أخرى فى سرعة التصويب ..

وفى هذه المرة لم يكد لدى (نور) خيار آخر ..

لابد أن يدافع عن حياته .

وانزلق (نور) بحركة بارعة مرنة ، متفاديًا طلقات الأشعة الثلاث ، التى مرقت فوق رأسه مباشرة ، وأطلق أشعة مسدسه نحو رجال الأمن الثلاثة ..

وأصابت أشعة (نور) رجلى أمن ، وألقتهما بعيدًا ، فى حين تفادى الثالث أشعة (نور) بحركة جانبية رشيقة ، وأطلق نحوه أشعته بدوره ..

وأصابت أشعة الرجل الجدار المجـاور لـ (نور) مباشرة ، وانعكست عنه فى عنف ، فوثب (نور) واقفًا على قدميه ، واندفع بأقصى سرعة نحو رجل الأمن ، الذى تراجع فى دهشة ، مع تلك المبادرة العجيبة من (نور) ، وصوّب إليه مسدسه ، ولكن (نور) بلغه فى لحظة واحدة ، وركل مسدسه من يده ، وهو يقول :

ـ معذرة يا رجل .. إننى مضطر لهذا .

تراجع الرجل فى حدة ، عندما خسر مسدسه ، ولكن (نور) انقضّ عليه فى سرعة ، ولكمه فى معدته ، فانثنى الرجل متأوهًا ، ولكن (نور) أعقب لكمته بأخرى ، فى فك الرجل مباشرة ، وألقاه فاقد الوعى ..

ولم يكن هناك وقت ليضيعه (نور) ..

لقد انطلق على الفور إلى المصعد ، وقفز داخله ، وضغط زر الطابق العلوى ، وانتظر فى توتر بالغ ، وهو يتمتم :

ـ أى مأزق وضعتنى فيه يا (بيكاس) .. إننى أحارب جيشًا بأكمله .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى سمع صوتًا يهتف داخل المصعد ، بعبارات لم يفهمها ، ولكنها تحمل معنى التوتر والخطورة ، فغمغم مرة أخرى :

ـ أية لغة هذه ، التى يستخدمونها هنا ؟

مع آخر حروف جملته ، أضىء مصباح صغير ، فى نهاية المصعد ، يعلن الوصول إلى الطابق العلوى ، وتوقف المصعد ، ثم انفتحت أبوابه ، و ...

وخفق قلب (نور) فى عنف ..

لقد كان يواجه خمسة من رجال الأمن المسئولين عن حماية قنبلة (الأيونوبروتين) ..

وكان الخمسة يصوبون إليه الأشعة ، ومن خلفهم ظهر (مالوس) ، وهو يبتسم فى خبث ، ويرسل صوته إلى عقل (نور) مباشرة ، قائلًا فى سخرية :

ـ مرحبًا يا رجل المستقبل .. كنت أنتظرك فى الواقع .

ولكن الأمر لم يكن يحتمل التراجع ..

أو حتى التردد ..

لقد قطع (نور) شوطًا طويلًا ، فى خطة الهروب ، وتحدى قانون (أطلانطس) ، ولم يعد من الممكن أن ينجو من عقاب وانتقام عنيفين ..

لذا فقد مضى فى الشوط حتى النهاية ...

وبوثبة بارعة ، تعلّق (نور) فى قائم معدنى ، فى سقف المصعد ، ثم دفع قدميه إلى الأمام بكل قوته ، وضرب بهما أوّل رجل أمن فى طريقه ..

وسقط الرجل ، وارتطم فى سقوطه بزملائه ، فتراجع بعضهم ، ولحق به البعض الآخر فى سقوطه ، وساد الهرج لحظة ..

لحظة واحدة ، قفز (نور) خلالها وسط رجال الأمن الخمسة ، وكال لأحدهم لكمة ساحقة فى فكه ، وللثانى أخرى صاعقة فى أنفه ، ثم وكل الثالث فى وجهه ، وأطلق أشعة مسدسه على الرابع ، وانحنى متفاديًا أشعة مسدس الخامس ، قبل أن ينقضّ عليه ويلكمه فى أسنانه بكل قوته ..

لم يكن قد قاتل خمسة رجال فى آن واحد من قبل ..

ولكنه يمتلك دافعًا قويًا ، أقوى منهم جميعًا ..

الأمل فى إنقاذ ابنته الوحيدة ..

ذلك الأمل ، الذى منحه قوة تفوق أضعاف قوته ، فى الوقت الذى احتاج فيه إلى هذه القوة ..

وحتى هو لم يصدّق ما فعله ..

لقد سقط رجال الأمن الخمسة أمامه ، وتراجع (مالوس) ، صائحًا فى ذعر :

ـ لا .. لا تقترب منى .

دفعه (نور) جانبًا فى ازدراء ، وأخرج من جيبه البطاقة المغنطيسية ، ودسها فى الفراغ الخاص بها ، فى جانب باب حجرة القنبلة ، فانفتح الباب على الفور ، وصاح (مالوس) ، وهو يلتصق بالمصعد فى هلع :

ـ ماذا ستفعل ؟.. ماذا ستفعل بالقنبلة ؟

تجاهله (نور) تمامًا ، وتقدم فى لهفة من القنبلة ، وتطلع إلى الذراع الأحمر فى طرفها ، ثم جذبه فى حزم ، و ...

وهنا ، انقض عليه (مالوس) ..

لقد هاجمه من الخلف ، وتعلّق بعنقه ، صارخًا :

ـ لن أسمح لك بإفساد قنبلتنا .

أدار (نور) ذراعه خلف كتفه ، فى حركة سريعة ، وقبض على (مالوس) ، وجذبه فى عنف ، فانتزع الرجل من مكانه ، وألقى به أرضًا ، ثم جذب الذراع فى قوة ، ورأى فتيل التفجير أمامه ، بأسلاكه الستة ، و ...

وهنا ، انقض عليه (مالوس) — لقد هاجمه من الخلف ، وتعلّق بعنقه .

وفجأة ، انتفض جسده فى قوة ..
كانت هناك قنبلة مجهولة ، تنفجر فى أعماقه ..
ودار رأسه فى عنف ..
وأظلمت الدنيا أمام عينيه ..
وتصوّر (نور) أن أحد رجال الأمن قد استعاد وعيه ، وأصابه بطلقة من بندقيته ..
ثم انتبه فجأة إلى الحقيقة ..
أنه رد الفعل العكسى ، للعقار المنشّط ، الذى حقنه به الدكتور (حاتم) ..
ويا له من رد فعل !
لقد انتفض جسده كله مرات ومرات ، وحاول أن يقاوم فى استماتة ، وهو يمدّ يده نحو الأسلاك ..
ثم هوى فجأة ..
انهارت مقاومته كلها دفعة واحدة ، وانطفأت شمعة وعيه ، و ...
وانتهى كل شىء ..

★ ★ ★

ساد مناخ عام من التوتر ، فى مركز أبحاث الفضاء ، والجميع يراقبون الرافعة ، وهى ترفع أسطوانة التجميد ، التى تحوى جسد (نشوى) ، إلى داخل الحوّامة ، فى حين

وقف (جيمس) إلى جوار الحوّامة ، وهو يلصق فوهة مدفعه الآلى برأس (سلوى) ، والشراسة ترتسم على كل خلية من خلايا وجهه ، وهو يمسك شعرها فى عنف ، ويجذبه فى قوة ، اضطرتها إلى إمالة رأسها إلى الخلف ..

أما (أكرم) ، فقد وقف صامتًا ، يرسم فى حركاته شعورًا زائفًا باللامبالاة ، ويرخى قبعة الطيّار على عينيه ..

وفى برج المراقبة ، غمغمت (مشيرة) ، وهى تفرك كفيها فى عصبية شديدة :

ـ يكاد قلبى يتوقف ، وأنا أفكر فيما سيقدم عليه (أكرم) .

أجابها الدكتور (ناظم) ، وهو يراقب الموقف فى دقة :

ـ استنادًا إلى موقفه الحالى ، أظنه سيكتفى بمعرفة المكان ، الذى سيذهب إليه (جيمس) فحسب .

هزّت رأسها ، قائلة :

ـ هذا لأنك لاتعرف (أكرم) ، مثلما أعرفه أنا .. إنه مقاتل عنيد ، لايستسلم أو يتراجع قط ، وهو لم يفعل كل ما فعل ، ليحتلّ مقعد طيّار الحوّامة ، لمجرّد معرفة المكان ، الذى سيذهب إليه هذا الإرهابى ، فهذا العمل كان يمكن أن يقوم به الطيّار نفسه .

سألها الدكتور (ناظم) فى قلق :

ـ ما الذى تتوقعينه إذن ؟

عادت تهزّ رأسها نفيًا ، وهى تتنهد ، قائلة :

ـ لن يمكنك أبدًا أن تتوقع .. يكفى أن تراقب ، وأن تتضرّع إلى الله (سبحانه وتعالى) .. هذا كل مانملكه جميعًا .

أدرك قلبه أنها على حق تمامًا ، وهو يراقب الموقف كله من بعيد ..

كانت الرافعة قد حملت أسطوانة التجميد إلى داخل الحوّامة ، وتم تثبيتها داخلها بمنتهى الدقة والحذر ، وأوصلها الفنيون بأجهزة تنظيم درجة البرودة ، والمحافظة عليها ، وقال الدكتور (حاتم) فى حدة ، عبر مكبّر صوتى ، يتصل بالحوّامة مباشرة :

ـ لقد حصلت على كل ما أردت يا (جيمس) ، على الرغم من الأوامر ، التى أصدرتها لك قيادة دولتك ، بإيقاف هذه العملية ، وتسليم نفسك للسلطات ، فلديك عينة من عقار التجميد ، ولديك أسطوانة التجميد ، وبداخلها جسد أكثر أطفال (مصر) أهمية .. اترك إذن (سلوى) ، وستنقلك الحوّامة إلى حيث تريد .

صاح (جيمس) فى عصبية :

- لاتصدروا أية أوامر .. هذه المرأة سترافقنى حتى نهاية المطاف ، ولن أطلق سراحها إلا بعد التيقن من أننى آمن تماما .

أجابه الدكتور (حاتم) :

- لديك ما هو أثمن منها .. أسطوانة التجميد ، والطفلة .. هيا .. أطلق سراح (سلوى) ، وغادر المكان .

صرخ (جيمس) فى ثورة ، وهو يجذب شعر (سلوى) فى قسوة :

- قلت لا .. هل تفهم ، أم أنه من المحتم أن أثقب رأس المرأة برصاصتين ، حتى تستوعب الموقف ؟!

قال الدكتور (ناظم) فى قلق :

- كفى يا دكتور (حاتم) .. الرجل مجنون بحق .

أطبق الدكتور (حاتم) شفتيه فى غيظ ، وأشاح بوجهه عن مكبّر الصوت ، إلا أنه لم يستطع التزام الصمت طويلا ، فقال فى عصبية :

- ألا يكفيه أن يقتل (نشوى) ؟

هتفت (مشيرة) فى شحوب :

- يقتلها ؟!

أجاب فى مرارة :

- بالتأكيد .. إننا لانعلم كم فقدت من عمرها ، فى الفترة التى احتلّ فيها هذا الوغد ورجاله المكان ، ولاكم بلغ استهلاك الأكسجين ، من خلايا مخها ، وربما فوجئنا بها تتلاشى بغتة ، قبل أن ننجح فى استعادتها .

هوى قلب (مشيرة) بين قدميها فى ارتياع ، وراح يخفق فى عنف ، ثم لم تلبث أن التفتت ثانية ، إلى حيث تقف الحوّامة ، وهتفت من أعمق أعماق وجدانها :

- افعل شيئا يا (أكرم) .. أرجوك .. افعل شيئا .

وكأنما سمع (أكرم) النداء ، فقد اعتدل فى وقفته بغتة ، وقال فى لهجة ، نجح فى أن يزرع فيها أكبر قدر ممكن من الإحساس بالضجر والملل :

- هل سنبقى هنا إلى الأبد ؟

صاح (جيمس) فى وجهه :

- اصمت وتلقّ الأوامر فحسب .

ثم دفع (سلوى) فى قسوة داخل الحوّامة ، مستطردا :

- هيا يا امرأة .. سنرحل الآن .

دفع (أكرم) قبعة الطيّار إلى أعلى ، وهو يقول فى صرامة مباغتة :

- معذرة .. نحن هنا لانخاطب النساء بهذه الوقاحة .

استدار إليه (جيمس) بحركة سريعة ، وصوّب إليه فوهة مدفعه الآلى ، فى نفس اللحظة التى انتبهت فيها (سلوى) إلى أن الطيّار ليس سوى (أكرم) ، فصاحت فى مزيج من الدهشة والفرح والتوتر :

ـ يا إلهى !.. (أكرم) .

ومع صيحتها ، وثب (أكرم) ..

وكانت وثبة رائعة بحق ..

لقد ركل المدفع الآلى من يد (جيمس) ، وهو يهتف :

ـ إننا نقول : تفضلى يا سيّدتى .

كانت مفاجأة حقيقية لـ (جيمس) ، الذى هوى مدفعه من سطح المبنى ، ولكنه ـ كمحترف ـ سيطر على مشاعره وأعصابه بسرعة خرافية ، ولكم (أكرم) فى معدته ، صائحًا :

ـ إذن فهى خدعة .

انثنى (أكرم) إثر اللكمة ، ولكنه اعتدل بسرعة ، بعد أن احتملت عضلات بطنه قوة الضربة ، وصاح :

ـ نعم .. هى كذلك .

ثم انقضّ على (جيمس) بلكمة أودعها كل قوته ، هاتفًا :

ـ اهربى يا سيّدتى .

قفزت (سلوى) خارج الحوّامة ، وهى تقول :

ـ وماذا عن (نشوى) ؟

لم يجب (أكرم) ؛ لأن (جيمس) تفادى لكمته فى مهارة ، ثم لكمه فى صدره ، وأعقب لكمته بأخرى فى معدته ، وهو يصرخ ثائرًا :

ـ كانت خدعة أيها الأوغاد .

سقط (أكرم) على ظهره ، ولكنه وثب بسرعة واقفًا على قدميه ، وركل (جيمس) فى وجهه ، قائلًا :

ـ لايوجد هنا وغد سواك أيها البريطانى .

وفى برج المراقبة ، هتف الدكتور (ناظم) ، فى انفعال جارف :

ـ إلى طاقم الأمن .. لاتضيعوا هذه الفرصة الذهبية .. هاجموا سطح المبنى ، وألقوا القبض على هذا العميل ، أو انسفوه لو لزم الأمر .. هيا .. دعونا لانخسر اللعبة هذه المرة

أما (مشيرة) ، فراحت تهتف فى حماس :

ـ اضربه يا (أكرم) .. اهزمه .. اقتله .

ولكن الأمر لم يكن سهلًا أو بسيطًا ، إلى هذا الحد .. لقد كان (أكرم) بالفعل مقاتلًا صلبًا عنيدًا ..

ولكنه بدائى ..

لم يكن يقاتل بقواعد أو قوانين معروفة ..

كان له قانونه الخاص ..

وصحيح أن هذا القتال البدائى ، أو (قتال الشوارع) ، كما يطلقون عليه ، قد أربك (جيمس) فى البداية ..

ولكنه تجاوز هذا بسرعة ..

لأنه محترف ..

وفى عالم المحترفين ، توجد قواعد لكل شىء ..

حتى للقتال الهمجى ..

و (جيمس) يطبق هذه القواعد بمنتهى الدقة ..

وفى مهارة مدهشة ، تفادى (جيمس) واحدة من لكمات (أكرم) ، ثم لكمه فى معدته بقوة ، ودفعه إلى الخلف فى عنف ، ثم دار على عقبيه دورة بارعة سريعة ، وركله فى وجهه ..

واحتمل (أكرم) كل هذا ..

وهذه هى الفائدة الوحيدة ، المكتسبة من (قتال الشوارع) ..

قوة الاحتمال ..

ولكن (جيمس) لم يكن يسعى لتحطيم قوة احتمال (أكرم) ..

وإنما كان يستدرجه ..

يستدرجه إلى فخ محكم ، لم ينتبه إليه (أكرم) ، إلا عندما حاول حفظ توازنه ، بعد أن تلقى ركلة (جيمس) الأخيرة فى وجهه ..

لقد خدعه (جيمس) ، ودفعه إلى حافة السطح ..

واختل توازن (أكرم) ..

وفجأة ، وجد نفسه يهبط ..

بل يهوى ..

ولكن (أكرم) أقدم فجأة على حركة بالغة المرونة ..

حركة أشبه بالمعجزة ..

لقد دفع نصفه العلوى إلى الأمام ، ثم دار حول نفسه فى خفة ، وسقط على ظهره فوق السطح مرة أخرى ..

وكاد جسده كله ينزلق ، ولكنه تشبث بالحافة ، فى نفس اللحظة التى تعالى فيها وقع أقدام رجال الأمن والحراسة ، وهم يصعدون إلى السطح ..

وتراجع (جيمس) بسرعة ، وهو يهتف محنقًا :

ـ اللعنة !

وبحركة بارعة أنيقة ، وثب داخل الحوامة ، وأدار محركها ، ثم ارتفع بها ، مبتعدًا عن السطح ..

ومع هـذا المشهد ، هبطت قلـوب الجميع بين أقدامهم ..

لقد فاز (جيمس) بالغنيمة الأعظم ، و ...

وربح المعركة .

* * *

٤ ـ المجلـس ..

كانت المرة الأولى ، فى تاريخ (أطلانطس) الأرضى ، التى يجتمـع فيهـا مجلس الحكم مرتين ، فى يومين متتاليين ..

وكان من الواضح ، فى المرة الثانية ، أن الأمر ليس عاديًا ..

بل خطيرًا ..

خطيرًا للغاية ..

لقد سرت همهمة عجيبة فى المكان ، وجلس (بيكاس) صامتًا ، هادئًا ، يشبك أصابع كفيه أمام بطنه ، ويسبل جفنيه قليلًا ، فى حين راح (مالوس) يتحرك وسط القاعة فى عصبية ، ولاذ الملك (كوراك) بالصمت تمامًا ، وهو يجلس على عرشه الذهبى المهيب ..

ثم فجأة ، رفع الملك صولجانه ..

وتألق الصولجان بضوء أزرق رائع ..

وهنا ساد الصمت داخل القاعة ..

صمت تام ، أشبه بصمت القبور ، دام عدة ثوان ، حتى انطفأ صولجان (كوراك) ، ورفع رأسه ، قائلًا فى مهابة :

- هذا اجتماع خاص لمجلس الحكم .

تبادل الجميع نظرات قلقة ، قبل أن يستطرد (كوراك) ، وهو يشير بصولجانه إلى (مالوس) :

- بناء على طلب (مالوس) .

التفتت العيون كلها إلى (مالوس) ، الذى تنحنح ، وعقد حاجبيه فى صرامة ، فى حين ابتسم (بيكاس) فى سخرية ، بعينيه نصف المغمضتين ، وهو يتمتم :

- عظيم .. عظيم .

رمقه الملك بنظرة صارمة ، وحدجه (مالوس) بنظرة غاضبة ، ولكنه اعتدل ، وقال :

- إخوانى أعضاء مجلس الحكم العظيم .. جرت العادة على أن يجتمع مجلسكم مرة واحدة ، فى بداية كل شهر ، ولم يتغيَّر هذا أبدًا ، عبر آلاف السنين ، فالقانون الذى أتينا به من كوكبنا الأم ، يحتم ضرورة وجود أحداث جسام ، ليتم اجتماع المجلس فى غير موعده .

ودق سطح المنصة بقبضته ، وهو يقول :

- ونحن الآن أمام هذه الأحداث الجسام .

سرت همهمة قوية فى القاعة ، واتسعت ابتسامة (بيكاس) الساخرة ، دون أن يفتح عينيه ، فضرب الملك مسند عرشه بطرف صولجانه فى حزم ، وهو يقول فى غضب واضح :

- استمعوا أوَّلًا ، وتجادلوا فيما بعد .

عاد الصمت إلى القاعة تدريجيًا ، وعلا صوت (مالوس) ، وهو يقول فى حرارة :

- من المؤكَّد أنكم تتساءلون : ما هذه الأحداث الجسام ، التى يتحدَّث عنها (مالوس) ؟ ولا ريب أن معظمكم قد ربط بين حديثى ، وذلك الدخيل ، الذى رأيتموه هنا أمس .

ثم انعقد حاجباه فى شدة ، مردفًا :

- وهذا الربط صحيح .. بل صحيح تمامًا .

صمت منتظرًا رد فعل منهم ، إلا أنهم كانوا جميعًا يتوقعون هذا ، فلاذوا بالصمت ، وراحوا يتطلَّعون إليه فى ترقب ، فتابع :

- لقد ادعى هذا الدخيل أنه قادم من المستقبل .. بل تمادى فى هذا ، فأعلن أنه رأى ، فى أثناء رحلته عبر الزمن ، أن القنبلة (الأيونوبروتينية) ستكون سببًا فى غرق قارتنا العظيمة (أطلانطس) .. درة العالم ، وإمبراطورة الحضارة الحديثة .

ورسم على شفتيه ابتسامة ساخرة ، دار بها فى وجوه الجميع ، وهو يستطرد :

- يا لها من مهزلة ساخرة أيها السادة !.. قنبلة تدمر حضارة مثل حضارتنا .. أى سخف يفوق هذا ؟.. هل توقع ذلك الدخيل ، أن نصدق حرفًا واحدًا مما يقول ؟

وانقلبت سحنته بغتة ، لتــرسم الشراسة بدلًا من السخرية ، وهو يضرب المنصة بقبضته فى قوة ، هاتفًا :

- كلا .. لن نصدق هذا العبث ، وسنتصدى له بكل حزم وصلابة ، ستتم تجربة القنبلـة (الأيونوبروتينيـة) فى موعدها ، مهما حاول الخونة والجواسيس .. إننى أدعوكم إلى عدم تصديق هذا الدخيل ؛ لأنه جاسوس .. جاسوس من (بيروزيت) .

انطلقت همهمات عنيفة إثر عبارته الأخيرة ، وراح الجميع يتجادلون فى حدة ، ويلوحون بأيديهم بين مصدق ومستنكر ، حتى نهض (بيكاس) ، وقال فى هدوء :

- الزميل (مالوس) خطيب بارع ، يستحق التهنئة على أسلوبه وذكائه ، ولكنه للأسف ليس محاميًا مقبولًا ، أو حتى مبتدئًا ، فهو يتحدث كثيرًا ، ويلقى بالاتهامات جزافًا ، دون أن يقدم دليلًا واحدًا .

هتف (مالوس) :

- الدليل موجود يا عزيزى (بيكاس) ، وهو دليل قوى ، لا يتطرق إليه الشك قط .

وأدار عينيه فى الحضور ، قبل أن يستطرد فى حزم :

- كلكم تعرفون أننا نحتفظ بالقنبلة (الأيونوبروتينية) ، فى مكان خاص وسرى، لا يعلمه سوانا أيها الزملاء، وعلى الرغم من هذا ، فقد نجح الدخيل فى الوصول إلى القنبلة ، ووضع يده عليها .. بل كاد يتلفها ، لولا أننا نجحنا فى منعه ، فى الدقيقة الأخيرة .. بل فى الثانية الأخيرة .. وهذا الحادث مسجل، ولدى أكثر من سبعة شهود على حدوثه ، وسترون بأنفسكم كل شىء الآن .

وبإشارة من يده ، تكونت فى وسط القاعة صورة هولوجرافية متحركة ، تنقل كل ما حدث ، منذ هرب (نور) من زنزانته ، وحتى فقد وعيه أمام القنبلة ..

وهنا فقط ، عقد (بيكاس) حاجبيه ..

وساوره القلق ..

أما (مالوس) ، فقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة ظافرة ، وهو يراقب ردود الأفعال ، على وجوه الجميع ، وبخاصة (بيكاس) ، حتى انتهى العرض ، واختفت الصورة ، فقال فى زهو وصرامة :

- لعلكم لاحظتم أيها السادة ، خلال هذا العــرض القصير ، أن الدخيل عثر على مسدس أشعة ، وبطاقة مغنطيسية ، فى مكان كان يتوقعه مسبقًا ، كما أنه كان يعلم جيدًا أين يجد القنبلة ، فما الذى يعنيه هذا أيها السادة ؟

دار بعينيه فى وجوههم مرة أخرى ، قبل أن يضيف فى حزم :

ـ معناه أنه يوجد بيننا خائن .

ارتفعت الحواجب فى دهشة ، ومرت الهمهمة المتوترة مرة أخرى ، حتى قال (كوراك) فى حزم صارم :

ـ حذار هذه المرة يا (مالوس) ، فأنت تطرق منطقة شديدة الحساسية والخطورة ، فلم يحدث قط ، عبر تاريخ (أطلانطس) كله .. الفضائى والأرضى ، أن كان هناك خائن بين صفوفنا .

هتف (مالوس) :

ـ ولكنه وُجد يا مولاى ، وها هو ذا ؟

قالها ، وهو يشير بلا تردد إلى خصمه اللدود ..

إلى (بيكاس) ..

★ ★ ★

انتفضت القلوب كلها فى أسى ومرارة ، عندما ارتفعت الحوّامة ، التى تحوى أسطوانة التجميد ، يقودها (جيمس) ..

لقد ربح (جيمس) المعركة ..

ربحها بجدارة ..

إنه يسيطر الآن على أسطوانة التجميد ، وداخلها جسد (نشوى) ، ولن يجرؤ مخلوق واحد ، فى (مصر) كلها ، على اعتراض الحوّامة ، أو قصفها ..

كل ما سيفعله الجميع ، هو أن يراقبوها تبتعد فى حسرة ومرارة ، ويحاولوا رصد خط سيرها بأجهزة الرادار والفحص ...

الجميع إلا رجلاً واحدًا ..

(أكرم) ..

لقد رآه الجميع يهبّ واقفًا ، ثم يعدو بكل قوته نحو الحوّامة ، و ..

ويقفز ..

ومع قفزته شهقت (مشيرة) :

ـ (أكرم) !

أما الباقون ، فقد تجمّدت ألسنتهم فى حلوقهم ، واتسعت عيونهم فى انبهار ، وهم يتابعون هذا المشهد الخرافى ..

مشهد (أكرم) ، وهو يسبح فى الهواء ، قبل أن يتعلّق بجانب الحوّامة ، ويتأرجح لحظة ، ثم يقذف جسده داخلها ..

مشهد (أكرم) ، وهو يسبح فى الهواء ، قبل أن يتعلق بجانب الحوّامة ويتأرجح لحظة ، ثم يقذف جسده داخلها ..

وصاح الدكتور (ناظم) :

ـ مستحيل !.. لقد فعلها !

ثم استدار إلى (مشيرة) ، مستطردًا فى انفعال :

ـ مدهش .. فتاك هذا مدهش .

لو أن الظروف تختلف ، لتضرّج وجهها بحمـرة الخجل ، مع كلمة (فتاك) هذه ، أما والحال هكذا ، فقد خفق قلبها فى شدة ، وهى تسأل :

ـ ولكن ماذا سيفعل داخل الحوّامة ؟

دعونا نشاركها نحن أيضًا هذا السؤال ..

ماذا سيفعل هناك ؟..

ولكن الواقع أننا نمتلك مزية خاصة ، لاتمتلكها (مشيرة) ..

إننا نستطيع القفز مباشرة إلى مسرح الأحداث ..

إلى داخل الحوّامة ..

وهناك سنجد الدهشة مرتسمة على وجه (جيمس) ، وهو يهتف :

ـ اللعنة !.. كيف فعلت هذا ؟

كان (أكرم) يلهث فى شدة ، من فرط ما بذله من جهد ، ولكنه ـ وعلى الرغم من هذا ـ انقض على (جيمس) ، هاتفًا :

ـ دعنى أخبرك .
ثم لكمه فى فكه بكل قوته ، وأصابت اللكمة (جيمس) مباشرة ، فألقته بعيدًا عن مقعد القيادة ، الذى وثب إليه (أكرم) ، قائلًا :
ـ معذرة أيها الوغد .. سنتبادل الأماكن .
قفز (جيمس) يحيط عنقه بذراعه ، صائحًا فى غضب :
ـ هذا عندما يخلو المكان .
دفع (أكرم) مقعده إلى الخلف فى عنف ، ثم مال إلى الأمام ، قائلًا :
ـ لقد حدث هذا بالفعل .
دار جسد (جيمس) فى الهواء ، مع هذه الحركة العنيفة ، وسقط أرضًا ، ولكنه قفز واقفًا على قدميه مرة أخرى ، وعاد ينقضّ على (أكرم) ، صائحًا :
ـ ليس بعد يا هذا .
بدأت الحوّامة تتأرجح فى الهواء ، مع ذلك الصراع ، وصرخت (سلوى) فى هلع :
ـ ابنتى .. (نشوى) !
أما (أكرم) ، فقد شعر بالخطر ، الذى يتهدّد (نشوى) ، وهى داخل أسطوانة التجميد ، وهو يلكم (جيمس) بكل قوته ، فتراجع فى خفة ، وانحنى يضغط زر الطيّار الآلى ، وهو يهتف :

ـ دعنا نعيد إلى الأمر توازنه أوّلًا .
ولكن (جيمس) هوى على رأسه بضربة قوية ، قائلًا :
ـ فى المرة القادمة ، لاتفكّر إلا بنفسك .
وأعقبها بأخرى ، صائحًا فى ظفر :
ـ هذا لو أنه هناك مرة قادمة .
استقام مسار الحوّامة ، مع تشغيل الطيّار الآلى ، ولكن (أكرم) شعر بدوار عنيف ، إثر الضربتين ، فاستعان بإرادته كلها ، ولكم (جيمس) فى معدته ، ثم تشبث بسترته ، وهو يهتف :
ـ بالنسبة لى ستكون هناك مرات ومرات بإذن الله .
جذب (جيمس) سترته فى عنف ، وهو يقول فى ثورة :
ـ ربما فى الجحيم .
ومع هذه الجذبة العنيفة ، رأى (أكرم) قارورة صغيرة ، تسقط من جيب السترة الداخلى ، وتتدحرج أرضًا ، ورأى عينا (جيمس) تتسعان فى ارتياع ، وهو يندفع محاولًا التقاط تلك القارورة ..
وفى جزء من الثانية ، أدرك (أكرم) طبيعة هذه القارورة ..
إنه عينة العقار ..
عقار التجميد البشرى ..

وفى الجزء الثانى من الثانية ، وثب (أكرم) يختطف القارورة ، ثم تراجع فى سرعة ..

وانعقد حاجبا (جيمس) ..

بل انعقد وجهه كله ..

لقد بدا أشبه بشيطان ثائر ، على الرغم من وسامته ، وهو يصرخ :

ـ أعد إلىّ هذه القارورة ، وإلا ..

قاطعه (أكرم) فى سخرية :

ـ وإلا ماذا ؟

صرخ (جيمس) فى ثورة هائلة :

ـ أعدها إلىّ وإلا قتلتك .

غمغم (أكرم) :

ـ إلى هذا الحد .

ثم اعتدل فى حزم ، مستطردًا بصوت قوى :

ـ آسف أيها الوغد البريطانى .. لن أمنحك ما يضرّ وطنى أبدًا .

وبكل ما يملك من قوة ، قذف (أكرم) القارورة خارج الحوّامة ، وصرخ (جيمس) فى جنون :

ـ أيها الحقير .

ثم وثب بكل الغضب المتفجّر فى أعماقه ، وكال لـ (أكرم) لكمة شديدة القوة والعنف ، أعقبها بأخرى ساحقة ، ولدتها ثورة غضبه ، ثم أضاف إلى لكمتيه ركلة أودعها كل حنقه وحقده ، وبغضه وثورته ..

واندفع جسد (أكرم) ..

اندفع ليرتطم بزجاج الحوّامة ، ثم اخترقه بدوى عنيف ، وانطلق جسده إلى الفراغ ..

ثم هوى ..

هوى من ارتفاع مائتى متر ..

وبلا مظلة .

* * *

٥ - الضربة القاصمة ..

لم يحدث ، في تاريخ (أطلانطس) كله ، أن ساد مجلس الحكم هرج ومرج ، كاللذين حدثا ، عندما اتهم (مالوس) (بيكاس) بالخيانة ..

كان هذا هو أوّل اتهام بالخيانة ، في تاريخ (أطلانطس) ، السابق والحديث ..

وأوّل صدام مباشر وعنيف ، بين (مالوس) و (بيكاس) ..

وترك الملك (كوراك) الموقف يتصاعد بضع لحظات ، وبعض أعضاء مجلس الحكم يصرخون في وجه (مالوس) ، والبعض الآخر يحدّق في وجه (بيكاس) في هلع ، ثم ضرب الملك مسند عرشه بطرف صولجانه ، وهو يقول في صرامة :

- كفى .

لم يكد ينطقها ، حتى ران صمت رهيب على القاعة ، وتعلّقت كل العيون بالملك ، الذي مال على عرشه لحظة ، ورمق (بيكاس) بنظرة صارمة ، وهو يقول :

- ما قولك بالنسبة لهذا الاتهام البالغ الخطورة يا (بيكاس) ؟

مط (بيكاس) شفتيه ، وقال في برود :

- هراء .

سأله الملك في حزم :

- أهذا هو ردك على الاتهام ؟

لوّح (بيكاس) بيده في هدوء ، وقال :

- إنه يكفي ، ما دام مجرد اتهام شفهي ، دون دليل .

ارتسمت ابتسامة خبيثة على شفتي (مالوس) ، وهو يقول :

- أوافقك تماما أيها الزميل .. لابد من الدليل .

ثم أشار بيده ، فعاد العرض الهولوجرافي المتحرّك إلى الظهور ، لينقل هذه المرة كل الحدث ، الذي دار بين (بيكاس) و (نور) ، عبر مسجل عقلي خاص ، ثم تتركّز المشاهد على يد (بيكاس) ، وهو يلقي اللفافة الجلدية في السلة ، قبل أن ينصرف ..

ثم انتهى العرض ..

وساد صمت رهيب ..

صمت يحمل اتهاما مصدوقًا ، ونظرة مذعورة ، وجهها الجميع إلى (بيكاس) ، الذي ظلّ ، على الرغم من كل هذا ، هادئا ، مبتسما ، حتى سأله الملك في حدة :

- (بيكاس) .. ألن تدافع عن نفسك ؟

رفع (بيكاس) حاجبيه ، وقال :

- أدافع عن نفسى ؟!.. ولماذا يا مولاى ؟

عقد الملك حاجبيه فى شدة ، وهو يقول :

- لأن الاتهام الموجّه إليك بالغ الخطورة .. إنك فى موقف دقيق بالفعل .

هزّ (بيكاس) رأسه فى هدوء ، وابتسم فى رصانة ، وهو يقول :

- بل الزميل (مالوس) هو الذى فى موقف دقيق يا مولاى ، فما رأيناه الآن لو أنه حقيقى ، يعنى أن الزميل قد تجسّس عمدًا على حديثى مع الدخيل ، متجاهلًا ذلك النص الواضح الصريح ، فى دستور (أطلانطس) ، والذى جرّم وبشدّة ، أية محاولة من أحد أعضاء مجلس الحكم ، حتى الملك نفسه ، للتجسّس على عضو آخر ، مهما كانت الأسباب والمبرّرات .. ولقد جعل دستورنا العظيم لهذه الجريمة عقوبة واحدة ..

وانعقد حاجباه فى صرامة ، وهو يرمق (مالوس) بنظرة نارية ، مستطردًا :

- الموت .. الموت بلا رحمة .

امتقع وجه (مالوس) ، ولوّح بذراعه ، هاتفًا :

- هذا خروج عن الموضوع .

هزّ (بيكاس) رأسه نفيًا فى هدوء ، وقال :

- بل هو الموضوع نفسه يا عزيزى (مالـوس) ، فالدستور هو الدستور .. وهذا الدستور يعاقب الخائن بالنفى مدى الحياة ، ولكن عقوبة التجسس على أحد أعضاء مجلس الحكم ، هى الإعدام فورًا .. وبالنسبة لذلك الفيلم الهولوجرافى ، الذى شاهدناه جميعًا ، فهو طريف وأنيق ، ولكننى أستطيع أن أصنع ما هو أفضل منه فى معملى ؛ لذا فمن المضحك اعتباره دليلًا كافيًا ، لإدانة عضو قديم من أعضاء مجلس الحكم .

وابتسم فى خبث ، قبل أن يستطرد :

- إلا لو أقسمت على أنك التقطته عمدًا ، فى أثناء تجسسك علىّ .

شحب وجه (مالوس) فى شدة ، وهوى قلبه بين قدميه ، مع ذلك المأزق الرهيب ، الذى وضعه فيه (بيكاس) ، فهو إما أن يصرّ على صحة الفيلم الهولوجرافى ، فتكون عقوبته هى الإعدام فورًا ، وبلا رحمة ، أو يدّعى أنه قد افتعله فى معمله ، فتهبط أسهمه ، وتنتهى هيبته تمامًا فى مجلس الحكم ..

وساد صمت ثقيل هذه المرة ..

صمت تعلقت خلاله العيون كلها بوجه (مالوس) الشاحب ..

ثم قطع الملك (كوراك) حبل الصمت ..

قطعه ، وهو يسأل (مالوس) فى صرامة :

ـ ما قولك يا (مالوس) ؟!

تطلع (مالوس) بنظرة زائغة إلى (بيكاس) ، وكأنه يستنجد به ، ولكن (بيكاس) ابتسم فى ظفر ، وأسبل جفنيه ، وبدا أشبه بنائم يحلم بفيلم هزلى ، وإن لم تتوقف عيناه ، من تحت جفنيه نصف المغلقين ، عن متابعة ما يحدث من حوله ، فى لهفة وشغف ..

ولكن فجأة ، هتف (مالوس) :

ـ إذن فـ (بيكاس) يصرّ على خداعنا جميعًا ، وقلب الموائد على رءوسنا .

سأله الملك فى صرامة .

ـ هل تجسست عليه أم لا ؟

اعتدل (مالوس) فى وقفته ، على نحو مباغت ، وبدا أطول قامة ، وهو يعقد كفيه خلف ظهره ، ويجيب فى حسم :

ـ كلا .. لم أفعل .

شهق البعض فى انفعال ، وتبادل البعض الآخر أحاديثًا متوترة سريعة ، فى حين انعقد حاجبا (بيكاس) فى تساؤل ، وقال الملك فى دهشة :

ـ إذن فأنت تعترف بتلفيق الـ...

قاطعه (مالوس) فى حزم :

ـ كلا يا مولاى .. لم ألفق هذا الفيلم الهولوجرافى .. إنه حقيقى تمامًا .

سأله الملك فى دهشة :

ـ كيف يتفق هذا وذاك يا (مالوس) ؟

أجابه (مالوس) فى صوت قوى :

ـ كل ما فعلته هو أننى أمرت بمراقبة الدخيل طوال الوقت ، منذ قام بمحاولة الفرار الأولى ، وبناء على هذا الأمر ، سجل رجال الأمن كل ما يدور فى زنزانة السجين وحولها ، وهذا أمر مشروع ، يتيحه لى القانون ، بصفتى النائب العام لقارتنا (أطلانطس) ، ومن هنا كان الفيلم .

واستدار يتطلّع إلى (بيكاس) ، وهو يبتسم ، مستطردًا :

ـ وكهذا أيها السادة ، تجدون أن دليل إدانة الزميل (بيكاس) قانونى ..قانونى تمامًا ..

وكانت ابتسامته تحمل الكثير من السخرية .. ومن الظفر ..

* * *

هوى (أكرم) ، من ارتفاع مائتى متر بلا مظلّة ، وتصارع ذراعاه مع الهواء ، فى محاولة للتشبّث بأى شىء ..

ولكنهما لم يفلحا ..

ثم التقطت عيناه مشهدًا واحدًا ، فجّر فى أعماقه ينابيع الأمل ..

مشهد النيل ..

نيل (مصر) العظيم ..

لقد كانت الحوّامة ، فى لحظة سقوطه بالضبط ، تعبر نهر النيل ..

وهذا ما أنقذه ..

لقد سقط من ارتفاع مائتى متر ، نحو مياه النيل مباشرة ..

وفى لحظة واحدة ، أقنع (أكرم) عقله ، بأن الأمر كله لا يعدو مجرّد قفزة فى حوض للسباحة ..

وفى مرونة ، اكتسبها مع الزمن والخبرة ، انثنى جسده ، ثم مال إلى الأمام ، وانخفض رأسه ، ثم فرد ذراعيه ، واتجه نحو الماء بعجلة الجاذبية الأرضية(*) ، ثم غاص فيه كالسهم ..

(*) عجلة الجاذبية الأرضية : ٣٢ قدم/ثانية .

وثوان ، راح جسده يغوص فى المياه الباردة ، وسرت فيه قشعريرة عنيفة ، ثم لم يلبث أن تكيّف مع الموقف فى سرعة ، بعد أن توقف الغوص ، وبدأ (أكرم) يضرب الماء بذراعيه فى قوة ، ليعود إلى السطح ..

وأخيرًا التقط أنفاسه ..

ولكنه لم يكن يشعر بالسعادة ..

صحيح أنه نجا من موت محقّق ، ولكنه فشل فى مهمته ..

وها هى ذى الحوّامة تبتعد ، وبداخلها (نشوى) ، و (جيمس) ..

أما (جيمس) نفسه ، فقد عاد إلى مقعد القيادة ، وهو يلهث فى عنف ، وجسده يترنّح فى شدة ..

أما عقله ، فكان أشد ترنحًا ..

لقد خسر عينة العقار ، وفقد سلاحه ، وقتل زملاءه ..

ولكنه لم يخسر المعركة بعد ..

ما يزال يحتفظ بأسطوانة التجميد ، وبداخلها جسد (نشوى) ..

ما يزال مسيطرًا على الموقف ..

ولكن ماذا يفعل الآن ؟!..

أين يذهب ؟!..

ومع بحثه عن جواب السؤال ، قفزت إلى ذهنه صورة واحدة ..

وفى حزم ، جذب ذراع القيادة ، وألغى عمل الطيّار الآلى ، ضغط أزرار التوجيه ، واتجه إلى المكان الوحيد ، الذى يمكنه أن يذهب إليه ، فى (مصر) كلها ..

إلى السفارة البريطانية ..

ولم تستغرق الرحلة إلّا خمس دقائق على الأكثر ، ثم لاحت له السفارة ، فضغط زر جهاز الاتصال اللاسلكى ، وضبط موجته على موجة السفارة ، وقال :

ـ هنا (جيمس برادلى) .. سأهبط فى حديقة السفارة .. هل تسمعنى ؟.. أنا (جيمس برادلى) .

أتاه على الفور صوت مندوب الاتصال بالسفارة ، وهو يقول :

ـ لحظة يا مستر (جيمس) .. نرجو عدم الهبوط ، قبل الحصول على إذن بهذا .

هتف (جيمس) فى عصبية :

ـ إذن ؟!.. إذن بماذا يا فتى ؟!.. من الواضح أنك لا تفهم ما يحدث هنا .. إنه أمر عاجل .. عاجل وخطير ..

كرّر مندوب الاتصال فى حزم :

ـ نرجو عدم الهبوط يا مستر (جيمس) ، قبل الحصول على إذن بهذا .

صاح (جيمس) غاضبًا :

ـ أين السفير ؟.. أريد التحدّث مع السفير مباشرة .

أجابه المندوب فى صبر :

ـ الإذن أوّلا يا مستر (جيمس) .

عقد (جيمس) حاجبيه ، وقال فى صرامة :

ـ فى هذه الحالة ، يمكنك اعتبارى أحد المتسللين ، سأهبط على الفور فى حديقة السفارة ، دون انتظار لهذا الإذن السخيف .

قرن القول بالفعل مباشرة ، وراح يهبط بالحوامة فى وسط حديقة السفارة ، وسرعان ما أتاه صوت السفير ، عبر اللاسلكى ، وهو يهتف :

ـ (جيمس) .. ماذا تفعل أيها المجنون ؟.. نصف المنطقة يراك تهبط هنا ، ولن تلبث أن تجد قوات الأمن المصرية كلها حول السفارة .. ابتعد أيها الغبى .. لا أمل لك فى النجاة هنا .

ولكن (جيمس) تجاهل هذا النداء تمامًا ، وهبط بالحوّامة فى قلب الحديقة بالفعل ، وأوقف محركاتها ، فأسرع إليه حارسا أمن السفارة ، وكل منهما يحمل مدفعه الإشعاعى ، وقال أحدهما فى صرامة :

أخرج (جيمس) بطاقته الخاصة ، وهو يقول فى عصبية :
ــ ابتعد يا رجل .. أنا عميل بريطانى خاص ..

ــ سيدى .. عد إلى حوامتك .. ليس لدينا تصريح بهبوطك هنا .

أخرج (جيمس) بطاقته الخاصة ، وهو يقول فى عصبية :

ــ ابتعد يا رجل .. أنا عميل بريطاني خاص .

ألقى الحارس نظرة على البطاقة ، ثم عاد يقول فى صرامة :

ــ التصريح يا سيدى .

كاد (جيمس) ينفجر فى وجهه ، لولا أن لمح السفير ، وهو يعدو نحوه . وقد تخلى عن تحفظه ووقاره ، وهتف به :

ــ (جيمس) .. ارحل بسرعة يا رجل .. ابتعد بهذه الحوامة اللعينة عن هنا .. إنك تفسد كل شيء .

أشار (جيمس) إلى صدره ، وهو يقول فى حدة :

ــ بل أنا أسعى لنجاح العملية ، ووضع دولتنا فى مصاف الدول العظمى ، كما كانت فى الماضى .. لن نسمح لهؤلاء المصريين أبدًا بالتفوق علينا .. هل نسيت قوانيننا القديمة ؟!.. هل نترك لهؤلاء العرب فرصة الانتصار والتقدم ؟

صاح السفير فى وجهه :

- الدنيا تتغير يا (جيمس) ، والزمن لم يعد كما كان ، ثم إن السيد رئيس الوزراء أصدر أمرًا بإنهاء العملية كلها ، والمصريون سيضربوننا بكل شراسة ، لو أنك بقيت هنا .

قال (جيمس) فى عصبية :

- لن يمكنهم وضع أقدامهم على أرض السفارة ، فهى طبقًا للقانون الدولى ، أرض بريطانية(*) ، ثم إننى أسيطر على الموقف تمامًا .. أتدرك ما الذى يوجد داخل هذه الحوامة .. إنها أسطوانة تجميد ، تحوى ...

قاطعه السفير فى حدة :

- تحوى جسد ابنة الرائد (نور) .. بطل التحرير .. ألا تدرك ما يعنيه هذا ؟!.. لقد فجرت غضب المصريين ، ولا توجد وسيلة لامتصاص هذا الغضب ، سوى إعادة هذه الطفلة إليهم .

صرخ (جيمس) :

- نعيد ماذا ؟!.. مستحيل !.. لقد فعلت كل ما فعلت ، من أجل الفوز بهذه الغنيمة ، ولن أتنازل عنها قط .

أجابه السفير فى انفعال :

(*) حقيقة .

- إنها السياسة يا (جيمس) .. إنك لست رجل عصابات بحق ، ولكنك عميل خاص ، تعمل لحساب المكتب الخامس ، وهذا يعنى أن مهمتك ترتبط حتمًا بالتغيرات السياسية ، ومن الضرورى أن تتراجع الآن ، ما دامت الدبلوماسية تقتضى هذا .

لوّح (جيمس) بذراعه كله فى سخط ، هاتفًا :

- خطأ .. أكبر خطأ .. لقد كشف المصريون الأمر بالفعل ، وعرفوا أنهم يواجهوننا ، ولم يعد التراجع مجديًا .. الأفضل إذن أن نتقدم حتى آخر الشوط ، ونربح المعركة .. هذا أفضل أسلوب .

انعقد حاجبا السفير فى غضب ، وهو يقول :

- لا تجادل يا (جيمس) .. نفذ الأوامر فحسب .

فى اللحظة نفسها هتف أحد الحارسين :

- سيدى السفير .. لقد بدأ المصريون فى محاصرة السفارة بالفعل .

شحب وجه السفير ، وصرخ فى وجه (جيمس) :

- هل ترى ما فعلته حماقتك ؟.. هيا .. انصرف .. ابتعد عن هنا .

التقى حاجبا (جيمس) ، وهو يقول فى حدة :

- هل تصرّ ؟

أجابه السفير :

ـ تمام الإصرار .

نطقها السفير ثم ارتجف في هلع ، مع تلك النظرة المخيفة ، التي أطلت من عيني (جيمس) ، وهو يقول :

ـ في هذه الحالة ، سأتخذ إجراءً آخر .

تراجع السفير مرتجفًا ، وهو يغمغم :

ـ ماذا تنوي أن تفعل يا (جيمس) ؟

هتف (جيمس) بغتة :

ـ هذا .

قالها واندفعت يده فجأة ، لتمسك معصم أحد الحارسين ، وترفع فوهة مدفعه إلى أعلى ، في نفس اللحظة التي وثبت فيها قدمه ، لتركل مدفع الحارس الآخر ، وصرخ السفير :

ـ ماذا تفعل أيها المجنون ؟

ولكن (جيمس) تجاهله تمامًا ، وهو يلكم الحارس الأوّل في معدته ، ثم يدفع ركبته بين قدميه ، وينتزع منه مدفعه الإشعاعي ، ويستدير به نحو الحارس الثاني ..

وقفز الحارس الثاني ، محاولاً استعادة مدفعه ، ولكن (جيمس) أمطره بأشعة مدفعه ، التي اخترقت رأس الحارس ، وصدره ، فهوى جثة هامدة ، قبل أن يستدير

(جيمس) بسرعة المحترف إلى الحارس الأوّل ، ويصوّب إليه مدفعه ..

وتراجع الحارس ، وهو يلوّح بذراعيه ، هاتفًا :

ـ لا .. لا .. إنني أستسلم .

ولكن (جيمس) لم يرحمه ..

لقد أطلق عليه أشعة مدفعه ، وأرداه قتيلاً بدوره ..

وبعدها استدار إلى السفير ..

وصرخ السفير في رعب هائل :

ـ لا .. لا تقتلني يا (جيمس) .

أجابه (جيمس) في صرامة :

ـ اطمئن .. لن أقتلك .

ثم التقط المدفع الآخر ، مستطردًا :

ـ ولكنني أعزلك من منصبك ، ومنذ هذه اللحظة ، ستصبح السفارة كلها تحت سيطرتي .

وكان هذا تطورًا بالغ العنف ، في مسار الأحداث .. وبالغ الخطورة .

* * *

٦ ـ المرافعــة ..

مرّت لحظات طويلة من الصمت ، داخل مجلس الحكم الأطلنطى ، والأنظار كلها تتجه فى لهفة واستنكار إلى (بيكاس) ، الذى ظلّ صامتًا بدوره ، معقود الحاجبين ، مما شجّع (مالوس) على المواصلة ، قائلًا :

ـ هذا يجعل الأمور واضحة أيها السادة .. (بيكاس) ليس سوى أحد جواسيس (بيروزيت) ، وأوّل خائن فى تاريخ (أطلانطس) ، ولهذا فأنا أطالب بنفيه ، كما يقول القانون ، وتحطيم كل ما يحتويه معمله ، من آلات ومعدات مجهولة ، وبالذات ذلك الجهاز ، الذى يدّعى أنه آلة الزمن ، فى حين أنه ليس سوى واحد من الأجهزة ، التى صنعها بإيعاز من غزاة (بيروزيت) ، التى ستشارك ، فى الوقت المناسب ، فى تدمير حضارتنا ، وتحطيم مقاومتنا .

انعقد حاجبا (بيكاس) أكثر وأكثر ، وقد أدرك السبب الحقيقى ، لكل ما يفعله (مالوس) ..

آلة الزمن ..

إنه يسعى لتدمير آلة الزمن ، مهما كان الثمن ..

وهو لن يسمح بهذا قط ..

إن آلة الزمن هى حلمه ، منذ حداثته ..

الحلم الذى أثبته قدوم (نور) إلى عالمه .. إلى زمنه ..

نفس الحلم ، الذى يرفضه (مالوس) ، ويحاربه بكل قوته ، منذ طرحه هو ، على مائدة البحث ..

ولكن لا ..

مستحيل !..

لن يمنحه هذه الفرصة قط ..

« ما قولك يا (بيكاس) ؟.. » .

انتزعه صوت الملك (كوراك) من أفكاره ، فرفع عينيه إليه بحركة حادة ، ووجد نفسه يقول دون تفكير :

ـ غير قانونى .

تطلّع إليه (مالوس) فى دهشة ، وغمغم (كوراك) :

ـ غير قانونى ؟!.. ماذا تعنى ؟

اعتدل (بيكاس) فى مجلسه ، وقال :

ـ حتى ولو كان التسجيل يتمّ لمراقبة السجين ، فمن الضرورى أن يتوقّف ، عندما أبدأ أنا حديثى معه .. هكذا ينصّ القانون .

انعقد حاجبا (مالوس) ، وهو يقول :

ـ إنها نقطة شكلية ، لاتؤثر فى طبيعة الاتهام .

قال (بيكاس) فى عناد :
- بل هو خطأ قانونى فادح .
عقد (مالوس) ساعديه أمام صدره ، وقال :
- فليكن .. أنا أعترف بالخطأ ، بالنسبة لهذه النقطة ، ولكنه خطأ رجال المراقبة ، الذين لم يدركوا هذا .
ثم ابتسم في خبث ، مستطردًا :
- وأوافق على إعدامهم جميعًا .
بدأ (بيكاس) يشعر بالتوتر ، مع ذلك الذكاء الواضح ، الذى يدير به (مالوس) الموقف ، وراح يعتصر ذهنه ، بحثًا عن نقطة أخرى ، ينقذ بها حياته ، وآلة الزمن التى لم يختبرها بعد ..
وفجأة ، قفزت إلى ذهنه فكرة ، حوّلها بسرعة إلى واقع ، وهو يهتف :
- مولاى الملك .. أين باقى التسجيلات ؟
سأله (كوراك) فى حذر :
- أية تسجيلات ؟!
قال (بيكاس) فى حماس :
- الزميل (مالوس) يقول : إنه سجّل حديثى مع السجين ، ضمن تسجيلات المراقبة ، فأين تسجيلات ما قبل زيارتى للسجين ؟

احتقن وجه (مالوس) ، وهو يقول :
- لقد محوناها بالطبع .
سأله (بيكاس) ، فى لهجة تنطوى على اتهام ضمنى :
- لماذا ؟
ارتبك (مالوس) ، وهو يقول :
- لم تكن لها قيمة .
هتف (بيكاس) :
- بل لم يكن لها وجود .
ثم اعتدل ، ورفع ذراعه بحركة مسرحية ، وهو يستطرد :
- انظروا الآن إلى الحقيقة أيها الزملاء .. لو أن هذه التسجيلات موجودة ، فسأعترف بما يحاول الزميل (مالوس) تلفيقه لى ، من تهم بشعة ، على أن يعترف هو أيضًا بتهمة التجسّس على أحد أعضاء مجلس الحكم ، وإلا فسينفى كلانا التهمة المنسوبة إليه .. هذا هو قولى الأخير .
سرت همهمة أخرى فى القاعة ، وصاح (مالوس) :
- مولاى .. إنك لن تخاطر بمستقبل (أطلانطس) ، كله من أجل نقاط تافهة كهذه .

هتف (بيكاس) :

ـ هذه النقاط التافهة ، هى دستور (أطلانــطس) العظيم .

ساد الهرج والمرج داخل القاعة ، حتى صاح (كوراك) فى صرامة :

ـ كفى .

عاد الصمت إلى القاعة دفعة واحدة ، وتطلع الجميع إلى الملك ، الذى رفع صولجانه ، وقال فى حسم :

ـ لا أحد يمكنه مخالفة قانون ودستور (أطلانطس) العظيم .. ولكن لا أحد يمكنه أيضًا المجازفة بتاريخ وحضارة (أطلانطس) ؛ لذا فسترسل الفيلم الهولوجرافى إلى الخبراء ، لتحديد حقيقته من زيفه ، وحتى ذلك الحين ، سيتم التحفظ على الزميلين (مالوس) و (بيكاس) فى منزليهما .. أما بالنسبة لتجربة القنبلة (الأيونوبروتينية) ، فستتم فى موعدها المحدود من قبل ، بعد ثلث الساعة من الآن ، وسيتم مع انفجارها تنفيذ حكم الإعدام فى الجاسوس .

وهوى قلب (بيكاس) بين قدميه ..

إن هذا الحكم نهاية (نور) ..

ونهاية (أطلانطس) كلها ..

* * *

ضغطت (مشيرة) فرامل سيارتها ، بكل ما تملك من قوة ، وقفزت منها فى لهفة ، وانطلقت تعدو نحو شاطئ النيل ، هاتفة :

ـ (أكرم) .. حمدًا لله .. حمدًا لله على سلامتك .

كادت تلقى نفسها بين ذراعيه ، على الرغم من ثيابه المبتلة ، لولا رجال الأمن الذين يحيطون به ، أما هو ، فقد ابتسم فى أسى ، وهو يقول :

ـ لقد نجوت ، وفشلت يا عزيزتى .

هتفت به ، وهى تلتقط يده بأصابعها فى حنان :

ـ المهم أنك نجوت ، ثم إن (جيمس) هذا لم يذهب بعيدًا .. لقد هبط فى حديقة السفارة البريطانية .

سألها فى لهفة :

ـ وهل أمسكوا به ؟

هزت رأسها نفيًا ، وهى تقول :

ـ لا يمكننا اقتحام السفارة يا (أكرم) .. هذا ضد القانون .

لوّح بذراعه فى غضب ، وهو يهتف :

ـ أى قانون ؟.. هذا الوغد يحتجز ابنــة (نور) و (سلوى) ، وهى فى أدق مرحلة من حياتها ، كما شرحت لى ، فأى قانون هذا ، الذى يجبرنا على التخلى عنها ، من أجل راحته ؟!

قالت فى ضيق ، وهى تحاول تهدئته :

ـ القانون هو القانون يا (أكرم) .

صاح فى حدة :

ـ فليذهب القانون إلى الجحيم ، لو أنه لا يمنحنا حقوقنا .

قالت فى خفوت :

ـ ولكن القانون دائمًا يمنحنا حقوقنا يا (أكرم) ، حتى لو تصوَّرنا عكس هذا ، فنحن نحترم حق السفارة البريطانية فى أرضها داخل (مصر) ؛ لأننا بهذا نضمن احترام حق سيادة سفارتنا على أرضها ، فى قلب بريطانيا .. هكذا القانون .

انعقد حاجباه فى غضب ، وهو يقول :

ـ هل يمكنك إقناع (نور) و (سلوى) بهذا ، لو أنهما فقدا ابنتهما الوحيدة ؟

صمتت فى ارتباك ، فاعتدل قائلًا :

ـ حسن .. لن نتشاجر نحن ، ونترك هذا الوغد حرًّا .. دعينا نذهب إلى حيث السفارة البريطانية ، ولنقرِّر هناك ما ينبغى أن نفعله ..

قالها دون أن يشير إلى أنه فى الواقع قد اتخذ قراره .. وبلا رجعة ..

* * *

كاد مدير المخابرات البريطانى ينفجر غيظًا ، وهو يصرخ فى (جيمس) ، عبر أسلاك هاتف الفيديو :

ـ ماذا فعلت أيها الأخرق ؟!.. أى جنون هذا ؟.. إنك تقتل الجميع بلا تمييز .. مواطنينا ومواطنيهم .. أية حماقة دفعتك إلى ما تفعل ؟.. أنه العملية على الفور يا (جيمس برادلى) ، وإلا أصدرت أمرًا بعزلك .

هتف (جيمس) :

ـ مستحيل يا سيِّدى !.. نجاحنا فى هذه العملية يعنى استردادنا لموقع الصدارة ، الذى فقدناه بعد الحرب العالمية الثانية ، فى القرن الماضى .. لا يمكننا التنازل عنها أبدًا .

حدَّق مدير المخابرات فى وجهه ، الذى يبدو على شاشة هاتف الفيديو ، وغمغم ذاهلًا :

ـ أنت مجنون .. مجنون حتمًا .

أجابه (جيمس) فى حماس :

ـ على العكس يا سيِّدى .. اسمعنى جيدًا .. ألم تقل لى .. إن هذا العقار قد يعيدنا إلى مصاف الدول العظمى ؟.. لماذا تتخلى عنه الآن إذن ؟.. لقد حدث ما حدث ، وثارت ثورة المصريين ، ولكنهم لا يملكون فعل شىء .. إننى أسيطر على الموقف تمامًا .. صدقنى يا سيِّدى .

كاد مدير المخابرات البريطانى ينفجر غيظًا ، وهو يصرخ فى (جيمس) ، عبر أسلاك هاتف الفيديو :

هتف الرجل ، وهو يضرب كفًا بكف :

ـ أى موقف هذا الذى تسيطر عليه يا (جيمس) ؟.. إنهم يحاصرونك .. ألم تلق نظرة واحدة حولك ؟!.. ألم تراقب شاشة واحدة من شاشات الرصد ؟!..

إنهم هم الذين يسيطرون على الموقف لا أنت .

ابتسم (جيمس) فى سخرية ، وقال :

ـ أعلم أنهم يحاصرون السفارة ، وأنا أراقبهم فى ضجر ، على شاشات المراقبة ، ولكن كل هذا لايثير فى نفسى سوى الضحك .. إنها مجرَّد إجراءات أمن يا سيِّدى ، ولكنهم لا يملكون شيئًا .

ثم التقط مسماع أجهزة التكبير الصوتى الخارجية ، مستطردًا :

ـ وسترى بنفسك ما أعنيه .

واكتسب صوته فجأة صرامة عجيبة ، وهو يقول :

ـ إلى القوات المصرية ، التى تحاصر السفارة .. أريد أن تنصرفوا فورًا .. أريد المكان خاليًا ، بعد خمس دقائق على الأكثر ، فوجودكم يجعلنى عصبيًا ، وأنا أصبح شديد الخطورة ، عندما تنتابنى هذه العصبية .. وبالمناسبة ، لقد أوصلت أسطوانة التجميد ، التى تحوى جسد طفلتكم المعجزة ، بقنبلة شديدة التدمير ، ستنفجر

بمجرَّد الضغط على زرّ جهاز تحكم عن بعد ، لا يفارق حزامى ، ولو نفد صبرى ، سأضغط زر جهاز التحكم عن بعد ، بعد خمس دقائق من الآن ، لو لم يتمّ إخلاء المنطقة فورًا .

بدا التوتر ، على وجوه قوات الحصار ، واتصل قائدهم بوزير الدفاع مباشرة ، وقال فى عصبية :

ـ ماذا نفعل الآن يا سيّدى ؟.. هل نصرّ على البقاء ؟

أجابه الوزير :

ـ بل انصرفوا على الفور ، واكتفوا بالمراقبة من بعيد .

انعقد حاجبا القائد ، وهو يقول :

ـ ننصرف ؟!.. هل سنسمح لهذا الوغد الحقير بالسيطرة على ...؟

قاطعه وزير الدفاع فى حدة :

ـ لا تناقش الأوامر .. نفذ على الفور .

ازداد انعقاد حاجبى القائد ، وهو يغمغم :

ـ كما تأمر يا سيادة الوزير .

وأنهى الاتصال ، ثم رفع ذراعه ، هاتفًا :

ـ هيّا .. سننسحب حالاً .

برقت عينا (جيمس) فى ظفر ، وهو يراقب خطوات الانسحاب ، على شاشة الرصد ، وقال :

ـ أرأيت يا سيّدى ؟ إنهم يطيعون أوامرى بلا مناقشة .

قال مدير المخابرات فى سخط :

ـ ما الذى تفعله بالضبط يا (جيمس) ؟.. أهو مجرّد استعراض طفولى للقوة ؟!.. هل نسيت كل ما تعلمته هنا يا رجل ؟!.. إنك تزجّ بنفسك فى دهاليز سياسية ، لا قبل لك بها .. كل ما عليك هو أن تؤدى ما تؤمر به فحسب .. لقد بدأت هذه العملية لتنفيذ هدف سياسى ، وتم إلغاؤها للسبب نفسه ، فلا تناقش ، ونفذ الأوامر فحسب .

انتفض جسد (جيمس) فى عنف ، وهو يقول :

ـ محال يا سيّدى .. لقد نفذت العملية ، ولن أتراجع الآن .. ثم إن استسلامى الآن يعنى مقتلى ، على أيدى المصريين .. أما لو كنتم ترفضون الحصول على مكاسب العملية ، فسأسلم كل ما لدى للأمريكيين ، ولكننى لن أتراجع قط .

بُهت مدير المخابرات البريطانى ، وراح يحدّق فى صورة (جيمس) ، المرتسمة على شاشة هاتف الفيديو ، فى ذهول ..

لقد جنّ الرجل حتمًا ..

ذهب عقله لسبب ما ..

لم يعد يملك حتى القدرة على التفكير السليم ..

ولنصف دقيقة كاملة ، حدق مدير المخابرات فى وجه (جيمس) ، الذى لم يلبث أن قال فى صرامة :

ـ ما قولك يا سيدى ؟

لم يكن من الممكن بعد هذا أن يتعامل معه المدير على نحو طبيعى ..

من المحتم أن يتعامل معه كمجنون ..

مجنون بالغ الخطورة ..

وفى توتر ، زفر مدير المخابرات البريطانى ، وحاول أن يتظاهر بهدوء الأعصاب ، وهو يقول :

ـ أنت على حق يا (جيمس) .. لاينبغى أن نتراجع قط .

تهللت أسارير (جيمس) ، وهتف ظافرًا :

ـ أرأيت ؟

استدرك المدير فى سرعة :

ـ ولكن يا للخسارة !.. أنت تقول إنك قد فقدت ذلك العقار ، عندما ألقاه المصرى من الحوامة .

أجاب (جيمس) فى حرارة :

ـ بل نحن نمتلك عينة رائعة من العقار ياسيدى .

سأله الرجل فى دهشة :

ـ وأين هى ؟

برقت عينا (جيمس) ، فى جنون حقيقى ، وهو يقول :

ـ سنستخلصها من بعض الدماء .

واشتد بريق عينيه ، وهو يضيف :

ـ دماء ابنة (نور) .

وانتفض جسد مدير المخابرات البريطانى هلعًا .

* * *

٧ ـ القنبــلة ..

استعاد (نور) وعيه تدريجيًا فى بطء ، وتمتم متهالكًا :
ـ أين أنا ؟!.. ماذا حدث ؟
ـ أتاه صوت معدنى ، يقول :
ـ استيقظ الأسير ، وبدأ العدّ التنازلى .
انفتحت عينا (نور) عن آخرهما ، مع سماعه هذه العبارة ، وراح يحدّق فيما حوله ، فى دهشة بالغة ..
كان ممددًا فوق منضدة مصنوعة من ذلك المخمل الرخامى العجيب ، وقد قيدت أطرافه إليها بقيـود إليكترونية خاصة ، واستقرّت المنضدة كلها فوق شىء أشبه بالطوف ، من قطعة واحدة مربعة ، يبلغ طول ضلعها ثلاثة أمتار ، وأمامه كرة كبيرة ، مثبتة من قاعدتها بالطوف ، وتتوسطها شاشة تليفزيونية ، تتراص فوقها أرقام العد التنازلى ، بدءًا من رقم مائة ، والطوف كله يسبح فوق مياه المحيط ..
وهتف (نور) :
ـ يا إلهى !.. إنه موضع التفجير .

تراقصت صورة الأعداد التنازلية على الشاشة ، ثم تلاشت ، وظهرت بدلًا منها صورة (مالوس) ، وهو يجلس فوق مقعد وثير ، ويبتسم فى شماتة ، قائلًا :
ـ مرحبًا يا رجل المستقبل .. طريف منك أن استعدت وعيك .. لقد عملت على أن يحدث هذا ، فى نفس اللحظة التى يبدأ فيها العدّ التنازلى ، فأنت الآن ترقد فوق عوّامة المراقبة ، التى ستسجّل تأثيرات انفجار القنبلة ، ولقد بدأ العدّ التنازلى بالفعل ، وأمامك عشر دقائق ، ثم تنفجر القنبلة ، على عمق ثلاثة كيلومترات ، تحتك مباشرة .. إنها أقوى قنبلة عرفها الكون يا رجل المستقبل ، إلا لو كنتم قد عرفتم فى مستقبلك المزعوم أخرى ، تضاهيها أو تفوقها قوة .. وقوتها هذه تعنى أنه لا أمل لك بالنجاة قط .. ولا داعى للمحاولة ، فبدء العدّ التنازلى يعنى أن فتيل القنبلة قد اشتعل بالفعل ، ومن المستحيل منع الانفجار .
ثم اعتدل على مقعده ، وقال :
ـ باختصار .. لقد انتهيت يا رجل المستقبل .
اهتزّت الصورة قليلًا ، وتصوّر (نور) أن (مالوس) ينهى الاتصال ، فصاح بكل قوته :
ـ اذهب إلى الجحيم .

ولكن الشاشة انقسمت فجأة إلى قسمين متساويين ، وانعقد حاجبا (مالوس) فى قسم منهما ، فى حين ظهرت صورة (بيكاس) فى النصف الآخر ، وهو يقول فى أسى :

ـ معذرة يا ولدى .. قلبى يتمزّق أسى من أجلك ، وأتمنى لو أبذل حياتى فى سبيل إنقاذك ، ولكننى لم أعد أملك هذا .. إننى سجين فى حجرتى ، بأمر (كوراك) ، ومتهم بخيانة (أطلانطس) .

هتف (نور) :

ـ هذا الحقير (مالوس) ، هو الخائن الحقيقى .. إنه يضحى بتاريخ (أطلانطس) كله ، فى سبيل الانتصار فى معركة علمية .. ولكنك ستخسر يا (مالوس) .. ستخسر كل معاركك العلمية .. بل ستخسر حياتك كلها .

أطلق (مالوس) ضحكة عصبية ساخرة ، وقال :

ـ هل تتصوّر هذا ؟!.. أنا أيضًا سجين فى حجرتى ، ولكننى لست عاجزًا مثل (بيكاس) المسكين .. إننى أفعل ما يحلو لى .

هتف (نور) فى حدة :

ـ افعل كل شىء بسرعة إذن ، فلم يتبق فى عمرك ، أو فى عمر (أطلانطس) كلها ، أكثر من هذه الدقائق العشر .

رفع (مالوس) سبابته أمام وجهه ، وقال فى سخرية :

ـ سبع يا فتى .. لقد تحدثنا طويلًا .. أليس كذلك ؟

قال (بيكاس) فى حدة :

ـ لاتستسلم لاحباطاته يا ولدى .. حاول أن تفعل أى شىء .. أى شىء لتنجو من هذا الجحيم ..

ولكن ماذا يفعل (نور) ؟..

لقد خسر كل شىء ..

خسر معركته ..

وزمنه ..

وعائلته ..

العقار الذى حقنه به الدكتور (حاتم) اختار أسوأ لحظة ، ليبدأ مفعوله العكسى ..

وها هو ذا الآن مجرّد شخص عاجز ، مقيّد وسط المحيط ، لا يملك أملًا واحدًا فى النجاة ..

فيما عدا (س-١٨) ..

قفزت الفكرة إلى ذهنه بغتة ، فصاح دون تفكير :

ـ (س-١٨) .

خفض (بيكاس) عينيه فى أسى ، فى حين أطلق (مالوس) ضحكة عالية مجلجلة ، وقال فى سخرية شامتة :

ـ من الواضح أنك لاتدرك ما أصاب (س-١٨) ، يا رجل المستقبل المزعوم .. إننا نحن صنعنا (س-١٨) ،

ونحن وحدنا نمتلك القدرة على إتلافه .. إن (س-١٨) لم يعد يذكر حتى من أنت .. كل ذاكرته الخاصة بك محوناها عن آخرها .

صاح (نور) :

- مناورة حقيرة .

قهقه (مالوس) مرة أخرى ، وقال :

- هكذا .. استنجد به إذن .. سأوصلك به مباشرة .. هيا .

اختفت صورة (مالوس) فجأة عن الشاشة ، وظهرت صورة (س-١٨) ، وهو يقف ساكنًا كتمثال من المعدن ، وسط عدد من الآلات الأخرى ، فصاح (نور) :

- النجدة يا (س-١٨) .. أنا فى خطر .. النجدة .

اختفت صورة (س-١٨) ، وعادت صورة (مالوس) للظهور ، وهو يقول :

- اطمئن .. لقد رآك وسمعك ، ولكنه لن يستجيب لك .. لقد انتهيت تمامًا بالنسبة إليه لم يعد لك وجود .

وهنا فقط ، فقد (نور) آخر أمل فى النجاة ..

بل الأمل قبل الأخير .

فهناك أمل لايفارق القلوب قط ، مهما تصاعدت الأهوال والخطوب .

الأمل فى الحى القيوم ، الذى لا تأخذه سنة ولا نوم ..

فى الله (سبحانه وتعالى) ..

ولم يخذله العلى القدير ..

لقد برز الأمل فجأة فى الأفق ، وهو ينطلق نحو (نور) ..

وكان هذا الأمل فى هيئة شخص آلى ..

شخص يدعى (س-١٨) ..

* * *

اعتدل أحد رجال المراقبة فى حركة حادة ، وهو يحدق فى شاشة الرصد الخاصة به ، والتى تراقب جزءًا بعينه من السفارة البريطانية فى (القاهرة) ، وهتف فى توتر وانفعال مباغتين :

- سيدى القائد .

هرع إليه القائد بخطوات سريعة ، هاتفًا :

- هل من جديد ؟

أشار الرجل إلى شاشة المراقبة ، وقال :

- انظر .. هناك .. بين شجرتى المانجو .. هناك رجل يتسلل إلى داخل السفارة .

التقى حاجبا القائد ، وهو يحدق فى المشهد ، قبل أن يتمتم فى انفعال حقيقى :

ـ هذا صحيح .

ثم استطرد فى حرارة :

ـ رباه !.. إنه الرجل نفسه ، الذى انتحل شخصية طيّار الحوّامة .

قال المراقب فى قلق :

ـ هل ننذره ، ونطالبه بالعودة من حيث أتى ؟

هتف به القائد فى خشونة :

ـ إياك أن تفعل .

وعاد حاجباه يلتقيان ، قبل أن يستطرد :

ـ سنتظاهر بأننا لم نلحظ ما فعل ، ونمنحه فرصة للقيام بما تمنعنا الأوامر من القيام به .

وألقى نظرة ثانية على الشاشة ، ثم تابع :

ـ المهم ألا يكون ذلك الوغد البريطانى قد انتبه إليه .

والعجيب أن (جيمس) لم يكن قد انتبه إلى هذا بالفعل ..

لقد كان ، فى هذه اللحظة بالذات ، يلوّح بأحد مدفعى الأشعة فى وجه طبيب السفارة ، وهو يقول فى برود :

ـ هذه الأوامر ليست للمناقشة أيها الطبيب .. إنها للتنفيذ فحسب .

جفف الطبيب جبهته ، بحركة لا إرادية ، وهو يقول :

ـ ولكنها جريمة قتل يا مستر (جيمس) ، فالحصول على عينة من دم الطفلة ، يحتم إيقاف عمل أجهزة التجميد ، وهذا يعنى أن الفتاة ستعانى من صدمة رجعية ، ستتطوّر حتمًا إلى صدمة غير رجعية ، مع الانخفاض التدريجى غير المدروس لدرجات الحرارة ، وسيؤدى هذا إلى موتها .

لم تبد لمحة واحدة من التأثر ، على وجه (جيمس) ، وهو يقول :

ـ عظيم .. فى هذه الحالة يمكننا أخذ دمها كله ، وعينات من أنسجتها أيضًا .

ارتجف الطبيب ، وتطلّع إلى السفير مستنجدًا ، فتنحنح هذا الأخير ، وقال :

ـ من الخطأ أن تفعل هذا يا (جيمس) .

ابتسم (جيمس) فى سخرية ، وقال :

ـ هكذا ؟!

ازدرد السفير لعابه ، وقال :

ـ نعم .. هكذا .. وهذا لصالحك ، فهذه الفتاة هى الورقة الوحيدة ، التى تمنعهم من مهاجمتك ونسفك ، ولو شعروا أنك تهدّد حياتها ، أو علموا أنك قتلتها ، فلن يترددوا لحظة واحدة فى سحقك سحقًا .

صرخ (جيمس) فى ثورة :

ـ لا أحد يسحق (جيمس برادلى) .

انتفض السفير على مقعده ، وتراجع هاتفًا :

ـ لم أقصد هذا المعنى بالضبط ، ولكن ..

قاطعه (جيمس) بهدوء مفاجئ عجيب :

ـ ولكنك على حق إلى حد ما .

بدا الارتياح على وجهى الطبيب والسفير ، ولكن (جيمس) استطرد فى حماس :

ـ لا ينبغى أن يشعروا بما نفعله إذن .

اتسعت عينا الطبيب فى ذعر ، فى حين هتف السفير :

ـ ماذا تعنى ؟.. هل سنخدعهم ؟

ابتسم (جيمس) ، قائلًا :

ـ بالطبع .. إنه سمة عملنا .

صاح السفير :

ـ كيف ؟!.. الأسطوانة داخل الحوّامة ، متصلة بأجهزة التجميد والتبريد ، فكيف نخدعهم ، وهى تحت أبصارهم .

برقت عينا (جيمس) ، وهو يقول :

ـ ننقلها إلى هنا .

قال السفير فى عصبية :

ـ ليست لدينا الوسائل المناسبة لهذا .

هزّ كتفيه ، قائلًا :

ـ سنتظاهر بالعكس .

سأله الرجل فى حدة :

ـ كيف ؟!

أطلق (جيمس) ضحكة جنونية ، وقال :

ـ سنحضر بعض الأنابيب ، والخراطيم ، وبعض العدادات ، ونصل كل هذا بأى جهاز لدينا ، ثم ندفعه داخل الحوّامة ، ونتظاهر بنقل الطفلة إلى هنا بأسلوب علمى .

ثم تراجع ، وألصق ظهره بمقعده ، وهو يتابع فى برود مباغت :

ـ بعض الخيال يا سيّدى السفير .. كل ما نفتقر إليه هو بعض الخيال .

قالها ، ثم ابتسم ابتسامة واسعة ..

وارتجف السفير والطبيب ..

لقد بدت لهما تلك الابتسامة بعيدة كل البعد عن ابتسامات البشر ..

كانت ابتسامة شيطانية ..

شيطانية بحق ..

★ ★ ★

عندما أوقف (س-١٨) كل أجهزته عن العمل ، ليمنح علماء (أطلانطس) فرصة فحصه ، كان من الطبيعى ، طبقًا لبرنامجه ، ألا يوقف أجهزة الاستماع والتسجيل والرصد ..

لذا فقد ظلّ (س-١٨) يرصد ويسجّل كل ما حوله ، طوال الوقت ..

حتى جاء (مالوس) ..

وعلى الرغم من أن برنامج (س-١٨) لا يتضمّن وسائل الخداع ، والدسائس ، والمؤامرات ، إلا أنه أدرك - بتحليل بسيط - أن هؤلاء العلماء يريدون محو ذاكرته ، ليمنعوه من إنقاذ ونجدة سيّده الحالى ..

الرائد (نور الدين محمود) ..

وعلى الفور ، بدأ (س-١٨) فى إعداد برنامجه الدفاعى ..

وبسرعة تفوق إدراك البشر ، فتح (س-١٨) ذاكرته الاحتياطية ، وراح ينقل إليها كل ما تختزنه الذاكرة الأساسية ..

وفى دقائق معدودة ، كانت ذاكرة (س-١٨) قد أصبحت آمنة ، بعد أن منع اختراقها بكود سرى خاص ، من تسعة أرقام ، صنعه عشوائيًا ..

وبعدها استسلم (س-١٨) للعلماء ..

تركهم يمحون كل ما يريدون ، من الذاكرة الأساسية ، حتى أعلنت أجهزتهم خلو ذاكرته تمامًا ..

وبقى (س-١٨) ساكنًا ..

لم يكن هناك ما يدعوه إلى الحركة ، فلزم الصمت والسكون تمامًا ..

حتى سمع استغاثة (نور) ..

لقد رأى صورة (نور) تظهر فجأة ، على إحدى شاشات المراقبة ، وسمع صوته يستنجد به ..

وهنا تحرّك (س-١٨) ..

فوجئ به العلماء يعتدل ، ويقول عبارته الوحيدة :

- (س-١٨) فى خدمتك يا سيّدى ..

ثم انطلق ..

وساد الهرج والمرج وسط العلماء ، الذين يجهلون تمامًا ما حدث ..

وفى دقائق معدودة ، كان (س-١٨) قد بلغ موضع (نور) ..

وصرخ (نور) فى سعادة :

- (س-١٨) .. كنت أعلم أنك ستأتى .. كنت واثقًا من هذا .

وبفرحة غامرة ، هتف (بيكاس) :

- لقد أتى .. إنها معجزة .. لقد جاء الآلى لنجدته !

أما (مالوس) ، فقد اتسعت عيناه فى ذهول شديد فى البداية ، ثم صرخ فجأة :

- ابتعد يا (س-١٨) .. أطع أوامرى .. أنا أحد صانعيك .. تراجع يا (س-١٨) .. هذا أمر .

صاح (نور) :

- أنقذنى يا (س-١٨) .. حطّم هذه القيود ، وأبعدنى عن هنا .

عاد (مالوس) يصرخ :

- مستحيل !.. إنك ستطيع أوامرى وحدى يا (س-١٨) .. هكذا صنعناك .. إنك تطيع أوامر سادتك أوّلا .

هبط (س-١٨) فوق الطوف ، ونقل بصره فى برود آلى بين (نور) وصورة (مالوس) ..

كان من الضرورى أن يتخذ قرارًا واحدًا ..

وهو قرار من النوع الثالث ، كما يسميه علماء الفكر البشرى ..

قرار يحتاج اتخاذه إلى دراسته ، وتحديد ، و ...

وإرادة ..

هبط (س-١٨) فوق الطوف ، ونقل بصره فى برود آلى بين (نور) وصوره (مالوس) .. كان من الضرورى أن يتخذ قرارًا واحدًا ..

وانطلقت آلات (س-١٨) تعمل بكل طاقاتها ، لاتخاذ القرار ..

إنه مبرمج بالفعل ليطيع سادته فى الدرجة الأولى ..

ولكن ذاكرته تقول : إن (نور) أحد سادته ..

بل هو أطولهم احتكاكًا به ..

وهكذا لم يكن اتخاذ القرار عسيرًا .

لقد استدار (س-١٨) نحو (نور) ، وأطلق من عينيه شعاعى ليزر ، حطما قيوده على دفعتين ، ثم حمله ، و (مالوس) يصرخ :

- لن تنجح يا رجل المستقبل .. ستنفجر القنبلة بعد ثلاث دقائق فحسب .. لن تنجح .

ولكن (نور) صاح فى (س-١٨) :

- (س-١٨) .. ابتعد بنا بأقصى سرعة .. إنطلق الى منزل (بيكاس) ، فى الطابق الثالث ، من مبنى الحكماء .. لابد أن نصل إليه قبل مرور ثلاث دقائق .

توقف (س-١٨) جامدًا لحظة ، ثم أطلق من صدره تلك الكرة الشفافة ، التى تضخمت بسرعة ، وأحاطت بجسد (نور) ..

وفى لحظة واحدة ، وجد (نور) نفسه يطير فى الهواء ، بين ذراعى (س-١٨) .

وكان من الواضح أن (س-١٨) ينطلق بسرعة مذهلة ..

سرعة كان بإمكانها تمزيق (نور) إربًا ، ولولا تلك الكرة الشفافة ، التى أحاطه بها .

أما (مالوس) ، فقد صُعِق فى البداية ، وراح يردِّد :

- مستحيل !.. لن ينجح (بيكاس) أبدًا .. لن يهزمنى .

ثم انقضّ على هاتفه المستدير الخاص ، وضغط أحد أزراره ، وصاح :

- مولاى .. النجدة يا مولاى .. لقد أنقذ (بيكاس) الدخيل ، وسيستخدمان ذلك الجهاز ، فى منزل (بيكاس) ، لتدمير (أطلانطس) كلها .. أسرع يا مولاى .. تجاوز كل القوانين ، من أجل (أطلانطس) .

صُعِق الملك بالقول ، وبذلك الأسلوب الذى يتحدث به (مالوس) ، فهتف :

- أى قول هذا يا (مالوس) ؟.. أأنت واثق من ...

قاطعه (مالوس) ، وهو يكاد يبكى :

- تمام الثقة يا مولاى .. أسرع يا مولاى .. أسرع .

أنهى الملك اتصاله مع (مالوس) ، ثم ضغط بعض الأزرار فى حجرته ، فظهرت على الشاشة صورة لمنزل (بيكاس) ، وانعقد حاجباه فى شدة ، عندما رأى هذا الأخير يعالج آلة الزمن فى سرعة ولهفة وتوتر ، وهتف :

- إذن فـ (مالوس) محق فى شكوكه .

ثم أمسك جهاز اتصاله الخاص ، وصاح :

- إلى طاقم الحرس الملكى .. اقتحموا منزل (بيكاس) على الفور ، ودمروا جهازه الجديد ، مهما كان الثمن .. أكرر .. مهما كان الثمن .

وازداد الموقف تعقيدًا .

* * *

٨ - فى مجـرى الزمـن ..

« مستحيل !.. » .

هتف السفير البريطانى بالكلمة فى حدة ، فأدار (جيمس) عينيه إليه فى غضب ، وقال فى شراسة :

- ما هو المستحيل ؟

أجابه السفير فى حدة :

- كل ما تقوله مستحيل !.. إنك تبدو لى كرجل لم يعمل لحظة واحدة ، فى جهاز مخابراتنا ، حتى أننى أكاد أشك فى أنك لست (جيمس برادلى) الحقيقى ، بل مجرّد عميل ، يسعى لتحطيم علاقتنا بـ (مصر) تمامًا .

قال (جيمس) فى حدة :

- ومن يبالى بـ (مصر) وعلاقاتها ؟.. والذى لم يؤمن أبدًا بقدرة المصريين ، على صنع حضارة حديثة .

قال السفير :

- ولكنهم صنعوها .

صرخ (جيمس) :

- هراء .. كل هذا مجرّد هراء .. إنها مجرّد صدفة .. ضربة حظ .. المصريون لا يصلحون لصنع حضارات .

هتف به السفير :

ـ ليست هذه هى القضية الآن .

ضرب (جيمس) مسند مقعده بقبضته فى قوة ، وهو يصرخ :

ـ بل هى القضية .. قضيتنا الأولى والأخيرة ، التى لن نتخلى عنها أبدًا .. لن نسمح لهؤلاء المصريين بالتفوّق علينا .

صاح به السفير فى غضب :

ـ أى قول هذا ؟!.. إنها سنة الحياة .. لقد كنا يومًا أعظم أمة ، ودامت حروبنا مع الفرنسيين دهرًا ، ثم أتى الأمريكيون والسوفيت ، وانتزعوا منا الصدارة ، كما انتزعناها نحن من قبل من الفرس والروم ، وهم انتزعوها بدورهم من المصريين والآشوريين .. وهكذا دواليك .. والآن عاد الزمن إلى دورته الأولى ، وتسلّم المصريون الريادة .. دعنا نستسلم لهذا ، ونسعى للتفوّق بطرق أخرى ، لا بأسلوب حرب العصابات هذا .

صرخ (جيمس) :

إذن فأنت لاتؤمن بالتفوّق البريطانى .

صاح السفير :

ـ ليس فى هذا العصر .

صاح (جيمس) ، وهو يدير مدفعه نحوه :

ـ أنت لاتستحق جنسيتك إذن .

صرخ السفير :

ـ لا .. لا تفعلها .

ولكن (جيمس) ضغط زناد البندقية فى غضب ..

وانطلقت الأشعة القاتلة ..

انطلقت لتخترق جسد السفير مرات ومرات ، حتى جحظت عينا الرجل ، وارتجفت قدماه ، وهوى دفعة واحدة جثة هامدة ..

أما الطبيب ، فقد أطلق صرخة فزع ، وتراجع فى هلع ، وراح يلوّح بذراعيه فى ذعر هائل ، ويصرخ :

ـ لا .. ليس أنا .. أنا أومن بالتفوق البريطانى .. أومن به من أعمق أعماق قلبى .

أدار (جيمس) فوهة مدفعه إليه ، وصاح :

ـ ستحصل على عينة الدم .

صاح الطبيب ، وهو يكاد يبكى رعبًا :

ـ سأفعل .. أقسم إننى سأفعل .. سأحصل على عينة من دم الطفلة بل على دمها كله ، ولكن لاتقتلنى .. أرجوك .

انبعث من مدخل الحجرة فجأة صوت غاضب ، يقول :

- ومن سيسمح لك ؟

استدار (جيمس) بمدفعه بسرعة ، نحو مصدر الصوت ، وأطلق الأشعة القاتلة ..

أطلقها نحو (أكرم) ..

ولكن (أكرم) انحنى فى سرعة ورشاقة ، وترك الأشعة تعبر فوقه ، ثم وثب بكل قوته نحو (جيمس) ، صائحًا :

- كفاك سفكًا للدماء أيها الوغد .

حاول (جيمس) أن يطلق عليه الأشعة مرة أخرى ، ولكن (أكرم) بلغه بقفزته الرائعة ، وركل المدفع من يده ، ثم ركل المدفع الآخر بقدمه الأخرى ، وهو يقول :

- هيا أيها الوغد .. قاتل كالرجال .. رجل لرجل .

قفز (جيمس) واقفًا على قدميه ، وهو يقول :

- هكذا ؟!.. فليكن إذن أيها المصرى .. ستندم أشد الندم على قولك هذا ، وأنت تلملم بقايا أسنانك ، الممتزجة بدمك ولحمك المفرى .

قالها وهوى بلكمة ساحقة على وجه (أكرم) ، الذى تفادى اللكمة فى مهارة ، وسدد إليه لكمة فى معدته ، وهو يقول :

- هيا .. قل ما يحلو لك ، فعندما أنتهى منك ، لن تجد القوة اللازمة حتى لتجمع أشلاءك .

انثنى (جيمس) مع قوة اللكمة ، فأعقبها (أكرم) بأخرى فى فكه ، هاتفًا :

- وهذه عينة مناسبة .

ولكن (جيمس) احتمل اللكمة فى ثبات ، وانقضَّ على (أكرم) ، ولكمه مرتين متتاليتين فى أنفه وفكه ، ثم وثب عاليًا ، ودار حول نفسه فى الهواء ، وركله فى وجهه ، وهو يقول فى عصبية ساخرة :

- ما رأيك أنت فى هذه العينة ؟

ارتطم (أكرم) بالحائط ، ثم ارتدَّ عنه فى عنف ، فاستقبله (جيمس) بركلة أخرى أشدَّ عنفًا ، هاتفًا :

- أم أنك تفضِّل الطرازات الخاصة ؟

تراجع (أكرم) فى ألم ، ثم انقضَّ على (جيمس) ، ولكمه فى أنفه ، ولكن (جيمس) تفادى هذه الضربة ، كما يفعل أى محترف ، وقفز يركل (أكرم) فى وجهه مرة ثالثة ، ورابعة ، وخامسة ..

سيل من الركلات ، انهال على وجه (أكرم) ، وضرب جسده بالحائط مرات ومرات ..

وقاوم (أكرم) ..

قاوم واحتمل ، أكثر مما يحتمل أى رجل آخر ..

كان (جيمس) يفوقه مهارة بكثير ، بحكم خبرته ، وعمله فى واحد من أجهزة المخابرات القوية المعروفة ..

كما أنه كان يقاتل على نحو منتظم ..

على عكس (أكرم) ..

صحيح أنه مقاتل عنيد ، شجاع ، صلب ، صنديد .. إلا أنه همجى ..

إنه يقاتل دون قواعد أو قوانين معروفة ..

وهذا هو الخطأ ..

لقد سقط (أكرم) ..

سقط أمام ضربات (جيمس) القوية ، العنيفة ، المتصلة ، التى تنتقى أبرز وأهم مواطن الضعف ، فى التكوين والتشريح البشرى ..

سقط على الرغم من قوة احتماله المعهود ..

أما الطبيب ، فقد التصق بالحائط فى هلع وذعر لا مثيل لهما ، وهو يراقب ما يحدث بعينين زائغتين ، سلبهما الذعر معظم معالمهما البشرية ..

واعتدل (جيمس) فى ظفر ، بعد أن سقط (أكرم) ، وقال فى وحشية :

ـ ماذا تستحق سوى القتل !

قالها واتجه فى هدوء نحو المكتب ، والتقط أحد المدفعين الإشعاعيين ، وهم بإطلاق النار على (أكرم) ..

وفجأة تعلق بصره بأحد شاشات المراقبة ..

تلك الشاشة التى تنقل صورة نفس المنطقة ، التى تسلل منها (أكرم) ..

وانعقد حاجبا (جيمس) فى غضب هادر ..

لقد نقلت إليه الشاشة صورة فريق من الفرق المصرية الانتحارية ، يتسلل إلى حديقة السفارة ، فى محاولة لتطويقه ..

وبكل الثورة فى أعماقه ، صرخ (جيمس) فى جنون :

ـ خيانة .. المصريون يهاجمون .

ثم انطلق نحو ركن الحجرة ، حيث وضع جهاز التحكم عن بعد ، وهو يواصل :

ـ ولكنهم سيدفعون الثمن .. سيدفعونه من دمائهم .

والتقط جهاز التحكم عن بعد ..

وتحدد مصير (نشوى) ..

مصيرها المحتوم ..

★ ★ ★

قبل مرور دقيقتين ، كان (س-١٨) قد عبر مساحة هائلة من المحيط الأطلنطى ، وبلغ مبنى الحكماء ، ثم اقتحم نافذة منزل (بيكاس) ، وهو يحمل (نور) ، داخل تلك الكرة الشفافة ، التى ذابت وتلاشت فور وصولهما ..

وفى لحظة ، استقبلهما (بيكاس) ، وهو يهتف :
ـ رائع يا (س-١٨) .. أنت تستحق مكافأة على هذا القرار .
قال (نور) فى توتر :
ـ ولكن القنبلة ستنفجر .
هزّ (بيكاس) رأسه فى أسى ، وقال :
ـ لقد كنت على حق يا ولدى .. التاريخ لا يتغيّر أبدًا :
ثم استطرد فى انفعال :
ـ ولكن ربما أمكنك إنقاذ ابنتك .. أسرع يا ولدى .. آلة الزمن مستعدة للعمل .
سأله (نور) ، وهم يتجهون إلى آلة الزمن :
ـ هل ستصحبنا ؟
هتف (بيكاس) :
ـ بالطبع .. لن أضيع فرصة كهذه ، فلو نجحت الآلة سأعود إلى الماضى ، وأمنع صنع القنبلة (الأيونوبروتينية) منذ البداية .. ربما أنجح هذه المرة من يدرى ؟
وقف الثلاثة داخل الآلة ، التى احتوتهم بالكاد ، وضغط (بيكاس) بعض الأزرار ، وقال فى توتر ، وهو يناول (نور) جرعة عقار النمو المعدّلة :

ـ ستبدأ الرحلة بعد عشرين ثانية .. استعدوا .. احرص على هذه ، واستخدمها كما أخبرتك .
ثم هتف فجأة :
ـ مفكرتى الإليكترونية .. كدت أنساها .
اندفع خارج الآلة ، والتقط مفكرته الإليكترونية ، وهمّ بالعودة إليها ، و ...
وفجأة ، اقتحم الحرس الملكى المكان ..
وصاح (نور) :
ـ أسرع يا سيّد (بيكاس) .
ولكن رجال الحرس الملكى أطلقوا بنادقهم الإشعاعية ..
وانطلقت الطاقة الصافية ..
وحصرت (بيكاس) ..
والعجيب أنه لم يلق مصرعه مباشرة ، كما يحدث للبشر ، بل تألّق جسده كله ببريق أزرق ، وجحظت عيناه ، ثم هوى أرضًا .
وصرخ (نور) :
ـ (بيكاس) .
ولكن الرجل لوّح بيده فى تهالك ، وقال :
ـ الزر الأحمر .. اضغط الزر الأحمر .

ثم هتف فجأة : ــ مفكرتى الإليكترونية .. كدت أنساها !
اندفع خارج الآلة ، والتقط مفكرته الإليكترونية ..

ولم يكن هناك وقت للقتال ..

ولهذا اتخذ (نور) قراره بلا تردد ..

وضغط الزر الأحمر ..

وفى اللحظة نفسها أطلق رجال الحرس الملكى أشعتهم نحو الآلة ، وارتفع صوت (مالوس) ، الذى يراقب المشهد ، عبر جهاز المراقبة الخاص به ، وهو يصرخ فى هياج شديد :

ـ امنعوهم .. أوقفوهم .. حطموا هذه الآلة قبل أن تعمل .

أصابت الأشعة أطراف الآلة ، فارتجت فى قوة ، وترنحت لحظة ..

ثم أضاء المصباح الأزرق فى أعلاها ..

وهنا انتفضت آلة الزمن فى قوة ، وانبعثت من أطرافها شرارات كهربية عنيفة ، جعلت رجال الحرس الملكى يتراجعون فى ذعر ..

ودوى الانفجار ..

انفجار مكتوم ، اختفت بعده آلة الزمن من المكان تمامًا ..

وهنا ابتسم (بيكاس) ، وتمتم :

ـ لقد نجحت .

ثم لفظ أنفاسه الأخيرة ..

أما (مالوس) ، فراح يصرخ فى جنون :

ـ لا .. لا يوجد ما يعـرف باسم آلـة الزمـن .. مستحيل .. إننى أنكر هذا تمامًا .. مستحيل .

ومع آخر حروف كلماته ، دوى انفجار آخر ..

انفجار القنبلة (الأيونوبروتينية) ..

انفجرت على عمق ثلاثة كيلومترات ، فى المحيط الأطلنطى ، وعلى مسافة ثلاثمائة كيلومتر من (أطلانطس) ، ولكن انفجارها كان رهيبًا ..

لقد ارتجفت (أطلانطس) كلها فى عنف لامثيل له ، وتراقصت مبانيها فى قوة ، واتسعت عينا الملك فى خوف ، وهو يغمغم :

ـ تُرى هل ...

لم يتمّ عبارته ، عندما ارتجف عرشه أسفله ، ثم هوى مع جسده أرضًا ..

و (مالوس) تشبّث بإطار نافذة حجرته ، وتطلع بعينين جاحظتين مذعورتين إلى المحيط ، وهو يردّد :

ـ لا .. مستحيل !.. مستحيل !

ثم أطلق شهقة ..

شهقة رعب هائلة ..

أطلقها عندما رأى أمامه موجة هائلة ، تندفع نحو (أطلانطس) بسرعة مخيفة ..

موجة لم ير مثلها ، أو يقرأ عنها ، فى حياته كلها ..

موجة يبلغ ارتفاعها ما يزيد على كيلومتر كامل ..

ولثوان ، حجبت عنه تلك الموجة الهائلة العملاقة ضوء الشمس ..

ثم هوت ..

هوت لتكتسح فى طريقها (أطلانطس) كلها ..

واختنقت صرخات الرعب والذعر وسط المياه ..

وجاءت موجة هائلة ثانية ..

وثالثة ..

ورابعة ..

وغاصت (أطلانطس) ..

غرقت بكل علومها وحضارتها فى أعماق المحيط ..

وانتهت أسطورة أخرى ..

* * *

كان انطلاق آلة الزمن عنيفًا ..

لقد سمع (نور) حوله ما يشبه انفجار عشرات القنابل ، وانتفض جسده فى قوة وعنف شديدين ..

ثم هوى جسده ..

هوى فى مجرى الزمن ..

مجرى هائل بلا حدود ، تتألق فيه أضواء بمختلف الألوان ، وتشرق فيه ألف شمس ، وتغرب عنده ألف شمس أخرى ...

ولكن هذه المرة كان السفر عبر الزمن يختلف ..

هكذا شعر (نور) ..

صحيح أنه لم يكن خبيرًا فى هذا المضمار ، ولكنه أدرك أن الأمر ليس على ما يرام ، فى هذه المرة بالذات ..

فى المرة السابقة كان يهوى أيضًا فى مجرى الزمن بعنف ..

ولكن بانتظام ..

أما فى هذه المرة ، فالأمر يبدو عشوائيًا ، وكأنما يتخبط فى مجرى الزمن ، من عصر إلى عصر ، ومن جيل إلى جيل ..

ثم هناك ذلك الوميض ..

وميض عجيب ، يظهر ويختفى ، بين حين وآخر ..

وميض لم يكن هناك ، فى المرة السابقة ..

وبكل قوته ، تشبث (نور) بقارورة العقار ، وهو يحاول دراسة الأمر فى تعقل ، على الرغم من عنف الموقف ..

ربما يختلف السفر ، من المستقبل إلى الماضى ، عنه من الماضى إلى المستقبل !..

أو أن الوسيلة ، التى يستخدمها (بيكاس) ، تختلف عن تلك التى أصابته فى الأعماق السحيقة ، وسط أطلال (أطلانطس) ..

أو ربما أن ..

ولكن فجأة ، انتبه عقله إلى الجواب ..

إنها تلك الأشعة ، التى أصابت آلة الزمن ، قبل رحيلها بلحظة واحدة ..

وفى ارتياع ، هتف (نور) :

ـ إذن فقد أتلفوها .

ثم صرخ مستطردًا :

ـ لقد ضعنا يا (س ـ ١٨) .. ضعنا فى مجرى الزمن .

واستمر جسده يهوى فى ذلك الفراغ الهائل ، بلا حدود ..

وبلا أمل .

* * *

٩ - نقطة الصفر ..

بدت (سلوى) شديدة التوتر والعصبية ، وهى تراقب محاولة رجال الفرقة الانتحارية المصرية للتسلل ، إلى حديقة السفارة البريطانية ، وقالت :

- لست أشعر بالارتياح لهذا الإجراء ، فالرجل مصاب بالجنون ، وقد ينفذ وعيده ، وينسف أسطوانة التجميد .

أجابها قائد المجموعة ، محاولاً إخفاء توتره المماثل :

- اطمئنى يا سيدتى .. أول ما سيفعله هؤلاء الرجال ، هو عزل الأسطوانة عن أية مؤثرات خارجية .. سيبذلون حياتهم من أجل ابنتك .. اطمئنى .

ولكن (سلوى) لم تكن تشعر بالاطمئنان أبدًا ..

ولا الدكتور (حاتم) ..

وهذا الأخير بالذات كان يرتجف ، فى كل لحظة تمرّ ، خشية أن تتلف خلايا مخ (نشوى) ، أو يهوى عمرها إلى نقطة الصفر دفعة واحدة ، قبل أن يصل (نور) ..

أما (مشيرة) ، فكان قلبها يختلج بين ضلوعها ، خوفًا وقلقًا على (أكرم) ، ولكنها سألت بروح الصحفية :

- ولكن كيف أمكنكم إرسال رجالكم إلى حديقة السفارة ؟!.. ألا يخالف هذا القانون الدولى ، وقواعد التعامل الديبلوماسى المعمول بها ، فى العالم أجمع .

أجابها القائد :

- لقد حصلنا على موافقة رئيس وزراء بريطانيا نفسه يا سيدتى .. ويبدو أنهم رأوا فى موافقتهم اعتذارًا مناسبا .

قالت (سلوى) فى عصبية :

- ولكنها مخاطرة كبيرة .. من أدراكم أن هذا البريطانى لا يراقبكم الآن ؟

أجابها الرجل ، وهو يسيطر على أعصابه بالكاد :

- إنه لم ينتبه إلى تسلل زميلكم ، وهذا دفعنا إلى الاستنتاج بأنه مشغول لسبب ما عن مراقبة شاشات الرصد .. ربما بسبب مشكلات داخلية .. المهم أنه كان من المحتم أن نستغل هذه الثغرة .

ثم انعقد حاجباه فى صرامة ، وهو يستطرد :

- ثم إن هذا الرجل يهدد أمن (مصر) وكرامتها .. أليس كذلك ؟

هتفت (سلوى) :

- وماذا عن ابنتى ؟

أجاب فى حزم :

ـ قلت لك : اطمئنى .. إنها المهمة الأولى لهؤلاء الرجال .

ولكن فى نفس اللحظة ، التى نطق فيها عبارته هذه ، كان (جيمس) يختطف جهاز التحكم عن بعد ، ويهمّ بنسف أسطوانة التجميد كلها ، قبل أن يصل إليها رجال الفرقة الانتحارية ..

ورأى (أكرم) هذا ..

رآه ولم يحتمل رؤيته ، فاستجمع جسده إرادته كلها ، ووثب من مكانه ، وقفز يختطف أحد المدفعين ، ثم يهوى به أرضًا ، ويتدحرج صارخًا :

ـ أيها الوغد .

استدار إليه (جيمس) فى غضب ، واندفعت سبّابته نحو زر جهاز التحكّم عن بعد ..

ولكن (أكرم) ضغط زناد المدفع ..

وانطلقت الأشعة القاتلة ..

وفى هذه المرة ، كانت الأشعة من نصيب (جيمس) ..

لقد اخترقت صدره ، وبطنه ، وجبهته ..

وجحظت عينا (جيمس) ..

ثم هوى ..

هوى جثة هامدة ، إلى جوار (أكرم) تمامًا ..

وصاح (أكرم) :

ـ مت أيها الوغد .. مت أخيرًا .

ثم جرّ نفسه جرًا ، إلى حيث مكبرات الصوت ، فأسرع الطبيب يناوله إياها ، وهتف هو ، بكلّ ما تبقى له من قوة :

ـ انتهى كل شىء .. أسرعوا بنقل (نشوى) .. أعيدوها إلى المستشفى .

قالها وترك جسده يسترخى فى تهالك ..

لقد ربح المعركة أخيرًا ..

وهذا يكفيه ..

★ ★ ★

لم يكد (س ـ ١٨) يسمع صرخة (نور) ، حتى أدرك أن سيّده فى خطر ..

وبسرعة ، درست أجهزة (س ـ ١٨) الموقف كله ..

وأدركت موطن الخطأ ..

وموطن الخطر ..

لقد أحدثت أشعة الطاقة خللًا جوهريًا ، فى مسار آلة الزمن ، وصار من المستحيل أن يعود (نور) إلى زمنه وحده ..

إلا إذا ..

لم تستغرق أجهزة (س-١٨) أكثر من عشر ثوان - لو أن للزمن قيمة فى مجراه - لتحليل الموقف ، وإيجاد الحل اللازم ..

إن (س-١٨) يعلم الآن ، كيف يعيد (نور) إلى عصره ..

ولكن الثمن فادح ..

إن الطاقة اللازمة ، لتعيد (نور) إلى زمنه ، ستستنفذ كل طاقة (س-١٨) ..

حتى الطاقة الاحتياطية ..

ولكن (س-١٨) لم يتردد ..

إنه مبرمج لهدف واحد ، لا يحيد عنه أبدًا ..

على العمل لصالح سيده ..

واتجه (س-١٨) مباشرة إلى (نور) ، وهو يردد عبارته الوحيدة :

- (س-١٨) فى خدمتك يا سيدى .

وأمسك (نور) من كتفيه ..

وفجأة ، شعر (نور) بطاقة هائلة تحيط به ..

وانتظم مجرى الزمن ..

وصرخ (نور) فى سعادة :

- لقد فعلتها مرة أخرى يا (س-١٨) .

ولكن (س-١٨) دفعه دفعة أخيرة ، ثم توقفت أجهزته كلها عن العمل ..

حتى تلك البؤرة الصغيرة ..

وهوى (س-١٨) فى مجرى الزمن ..

وضاع بين العصور ..

أما (نور) ، فقد شعر حوله بانفجار عجيب ، يتألق ببريق مختلف الألوان ، ثم وجد نفسه فجأة ، على ارتفاع عشرة أمتار ، من سطح المحيط الأطلنطى ..

وصرخ (نور) ، وهو يسقط فى المحيط :

- (س-١٨) ..أين أنت ؟!

ثم ارتطم بالمياه الباردة ، وغاص جسده مترين أو يزيد ، قبل أن يصعد إلى السطح ..

ولدهشته ، وجد طائرة تتجه إليه ..

نفس الطائرة التى أتت به إلى هذه البقعة ..

ودارت الطائرة دورة كاملة حوله ، ثم هبط منها سلك رفيع متين ، ربطه (نور) حول وسطه ، وهو يبحث حوله ، صائحًا :

- أين أنت يا (س-١٨) ؟

لم تفارق عيناه سطح الماء ، وهو يرتفع إلى قلب الطائرة ، حتى صار داخلها ، وأغلقت أبوابها خلفه ، وسمع الطيار يهتف به :

ثم وجد نفسه ، على ارتفاع عشرة أمتار ، من سطح المحيط الأطلنطى ..

ـ ماذا حدث ؟!.. لماذا عدت بهذه السرعة ؟.. وأين تلك الآلى ؟

تطلع إليه (نور) فى دهشة ، وقال :

ـ بهذه السرعة ؟! ماذا تعنى يا رجل ؟

أجابه الطيّار :

ـ لقد قفزتما منذ لحظات ، فكيف عدت وحدك ؟.. هل فشلت المهمة ؟

وهنا فهم (نور) ما حدث ..

إنها لعبة الزمن ..

لقد أعادته آلة الزمن ، التى اخترعها (بيكاس) ، بالإضافة إلى طاقة (س ـ ١٨) ، إلى نفس النقطة ، التى انطلق منها .. إلى نقطة الصفر ..

حمداً لله .. هذا يمنحه المزيد من الوقت ، لإنقاذ ابنته ..

وفى حرارة ، هتف (نور) ، وهو يقبض أصابعه على قارورة العقار فى قوة :

ـ بل نجحت المهمة يا رجل .. نجحت إلى حد كبير .

هتف الطيّار فى دهشة :

ـ كيف ؟.. ومتى ؟

أجابه (نور) :

- عد بنا أولًا بأقصى سرعة ، إلى (القاهرة الجديدة) .. هيا .. إننا فى سباق مع الوقت .

استدار الرجل بالطائرة ، وهو يقول :

- اطمئن .. سنصلها فى أقل من خمس ساعات .. هذا كان يستغرق خمسة عشر ساعة على الأقل ، فى القرن الماضى .

لم يجب (نور) هذه المرة ..

كان بصره يجوب للمرة الأخيرة سطح المحيط ، متشبثًا بآخر أمل فى العثور على صديقه الآلى ..

على (س-١٨) ..

* * *

صاحت (مشيرة) فى حرارة وسعادة ، وهى تعدو إلى جوار رجال الإسعاف ، الذين يحملون (أكرم) على محفة خاصة ، ويسرعون به إلى سيارتهم ، وسط جيش من رجال الأمن المصريين ، ورجال الصحافة من مختلف الجنسيات ، يحيطون بالسفارة البريطانية :

- رائع يا (أكرم) .. كنت رائعًا بحق .. بطولتك تنافس (نور) هذه المرة .

غمغم (أكرم) فى تهالك :

- أشكرك يا أميرتى .. كم تبدو الكلمات جميلة ، عندما تتهادى على شفتيك .

ضحكت قائلة :

- الأطباء يقولون أنك بخير .. بعض الرضوض والكدمات فحسب ، ويمكنك الذهاب إلى منزلك غدًا ، وعندئذ سيسعدنى أن أسمع عباراتك الجميلة .

هتف بها فى مرح ، وهو يغالب آلامه :

- سيسعدنى هذا أكثر .

ثم سألها فى جدية واهتمام :

- ولكن ماذا عن (نشوى) ؟.. هل أنقذوها ؟

أجابته وهم يضعونه داخل سيارة الإسعاف :

- إنها بخير ، ولقد أعادوها إلى حجرة التجميد ، وهم يفحصون عمرها الآن .

أغلق عينيه متمتمًا :

- حمدًا لله .. حمدًا لله .

وفى نفس اللحظة ، التى نطق فيها هذه العبارة ، كان الدكتور (حاتم) يقول :

- إنها سليمة ، من الناحية الجسدية التقليدية ، ومخها بخير ، حتى هذه اللحظة ، ولكن عمرها ..

توقف لحظة ، فهتفت به (سلوى) فى هلع :

- ماذا أصاب عمرها ؟

هزّ رأسه فى أسف ، وقال :

- لقد واصل الانخفاض ، فى الفترة السابقة .

سأله الدكتور (حجازى) فى قلق :

- وكم يبلغ الآن ؟

أجاب فى أسى :

- عام واحد .

فوجئ الجميع بصوت يقول :

- عظيم .

التفتوا إلى مصدر الصوت فى سرعة ، وهتفت (سلوى) :

- (نور) ؟!.. كيف عدت بهذه السرعة ؟

أجابها (نور) فى حرارة :

- سأشرح لك كل شىء يا عزيزتى ، ولكن فيما بعد .. المهم الآن ، كم يستغرق أمر إعادة (نشوى) إلى الحياة ؟

أجابه الدكتور (حاتم) :

- الأساليب الحديثة لا تحتاج لأكثر من دقائق معدودة .

قال (نور) فى حزم :

- فلنبدأ الآن إذن .. دعونا لا نضيع لحظة واحدة ، فهذا هو العمر الذى أريد (نشوى) عليه بالضبط .

هتفت (سلوى) فى لهفة :

- (نور) ..هل أتيت بالعقار ؟

رفع (نور) القارورة الصغيرة أمام أعينهم ، وقال :

- ها هو ذا .

قال الدكتور (حجازى) فى قلق :

- ولكننا نحتاج إلى إجراء بعض التجارب أوّلا ، و...

قاطعه (نور) :

- فيما بعد يا دكتور (حجازى) .. فيما بعد .. المهم أن نعيد (نشوى) إلى الحياة أوّلا .

لم يضع الدكتور (حاتم) لحظة واحدة ، وأسرع يصدر أوامره فى هذا الشأن ، ولم تمض دقائق ، حتى عاد جسد (نشوى) دافئا ، ينبض بالحياة أمامهم ، ولكنها ظلت غائبة عن الوعى ، وبكت (سلوى) ، وهى تقول ، متطلعة إلى ابنتها ، التى عادت إلى عامها الأوّل :

- هل سنراها مرة أخرى يا (نور) ؟.. هل ستعود شابة ، كما كانت تحب وتتمنّى ؟

أجابها (نور) فى حزم :

- فلندع الله (سبحانه وتعالى) أن يتحقق هذا يا (سلوى) .

ثم اقترب من ابنته فى ثبات ، وفتح قارورة العقار ، وتمتم :

ـ على بركة الله (سبحانه وتعالى) .

وسكب محتوياتها فى جوف ابنته ..

ولثوان ، بقى جسد (نشوى) ساكنًا ، صامتًا ..

ثم فجأة ، انتفض جسدها كله ، وفتحت عينيها دفعة واحدة ، ثم أطلقت صرخة ..

صرخة مدوية ، انخلع لها قلب (سلوى) ، فهتفت فى ارتياع :

ـ ماذا أصابها ؟.. ماذا أصابها يا (نور) ؟

كان قلب (نور) يرتجف أيضًا فى هلع ، ولكنه أمسك (سلوى) من كتفها فى قوة ، وهو يقول :

ـ تماسكى يا (سلوى) ..

وفجأة ، حدثت المعجزة ..

وكان الأمر أشبه بالسحر ..

لقد بدأ جسد (نشوى) ينمو ويتمدد ، فى سرعة عجيبة ، وعمرها يتزايد تدريجيًا ، وعادت تسبل جفنيها فى هدوء ، وتغيب عن الوعى ، وجسدها يواصل نموه ..

انتقلت فى لحظات من الطفولة إلى الصبا والشباب ..

وأخيرًا توقف جسدها عن النمو ..

توقف عندما عادت تمامًا كما كانت ..

إلى نفس نقطة الصفر ، التى بدأت عندها كل الأحداث ..

وفى سعادة ، احتضنت (سلوى) ابنتها ، وراحت تغمر وجهها بالقبلات ، وهى تهتف :

ـ حمدًا لله .. حمدًا لله .

وبكى الدكتور (حجازى) فى حرارة ، فى حين راح الدكتور (حاتم) يتلو بعض الآيات القرآنية ، وفتحت (نشوى) عينيها ، هاتفة :

ـ أمى .. أبى .. لقد عدت .

احتضنها (نور) ، وقبّل جبينها فى حنان ، وهو يقول :

ـ حمدًا لله (سبحانه وتعالى) يا (نشوى) ، وشكرًا له ألف مرة ، على عودتك إلينا سالمة .

قالت فى قلق :

ـ وكم سأبقى هكذا ؟

ابتسم مجيبًا فى حنان أبوى جارف :

ـ اطمئنى يا بنتى .. المفعول دائم هذه المرة .

هتفت فى سعادة :

ـ حقًا ؟!

ثم سألته :

ـ ولكن أين الجميع ؟!.. أين باقى الفريـــق ؟.. (رمزى) ، و (محمود) أين هما ؟.. وأين (مشيرة) ؟

ربّت (نور) على كتفها ، وقال :

ـ الجميع بخير يا (نشوى) .. الجميع بخير بإذن الله .

ترك زوجته تفرغ دموعها ومشاعرها مع قبلاتها ، التى تنهمر بلا حدود على وجه ابنتهما ، واتجه هو بقلبه إلى الله (سبحانه وتعالى) ، يشكره على نجاة الجميع ، ويبحث فى رحمته الواسعة عن جواب لعشرات الأسئلة ، التى تحتل عقله ، وقلق باله ..

تُرى هل اكتفى سادة الأعماق بخط دفاع ثان ، أم أنهم تركوا فى عقل ابنته خط دفاع ثالثـًا ، أو رابعًـا ، أو خامسًا ؟..

هل انتهت مشكلاتها ، أم أن القدر يعدّ لها المزيد منها ؟..

ثم قفز ذهنه إلى شخص واحد ..

شخص آلى ..

واستعادت ذاكرته مشهد (س ـ ١٨) ، وهو يهوى بعيدًا عنه ، فى مجرى الزمن ..

ومن أعمق أعماق جوارحه ، ألقى (نور) على نفسه السؤال الأخير ..

هل يمكن أن يعود (س ـ ١٨) مرة أخرى ؟

وككل الأسئلة الأخرى ، بقى هذا السؤال حائـرًا ومعلقًا ، فى خضمّ الحياة ..

وفى مجرى الزمن .

* * *

[تمت بحمد الله]

ملف المستقبل

سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمي

المؤلف

د. نبيل فاروق

نقطة الصفر

- كيف ينجو (نور) من موته المحقق، في قارة (أطلانطس) القديمة؟
- ما الذى يسعى إليه (جيمس براندل)؟.. وكيف ينفذ مخططه الرهيب؟!
- ترى هل ينجح الجميع في إنقاذ (نشوى)، أم ينهار عمرها إلى (نقطة الصفر)؟
- اقرأ التفاصيل المثيرة، وقاتل مع (نور) وفريقه، من أجل أمل أخير.

٩٣

الثمن في مصر

ص

١٠٠

وما يعادله بالدولار الأمريكي في سائر الدول العربية والعالم

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

العدد القادم: الساحر